

لجند نشر المؤلفات النيمورية

الأشعار النبوية

بقلم

العلامة المحقق المفسر

أحمد نيمور باب

وهي البحوث التاريخية الثابتة التي حقتها
الفقيه الكريم واختتم بها حياته الطيبة للباركة

القاهرة

مطبعة دار الكتاب العربي

١٩٥١ م

١٣٧٠ هـ



العلامة المحقق المرحوم أحمد تيمور باشا

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

كلمة اللجنة

دأبت « لجنة نشر المؤلفات التيمورية » على البحث عن شتى المؤلفات الخطية وغير الخطية من آثار المغفور له العلامة المحقق « أحمد تيمور باشا » توطئة لتقرير ما تراه بشأن طبعتها .

وقد اجتمعت كلمة اللجنة برئاسة سعادة الشيخ المحترم العالم « خليل ثابت بك » - والبلاد مقبلة على موسم الحج والزيارة - على أن تقدم للطبع كتاب « الآثار النبوية الشريفة » على سائر ما لدى اللجنة من المؤلفات التيمورية الكثيرة المشار إليها .

وقد بادرت إدارة اللجنة إلى تنفيذ هذه الرغبة الكريمة في طبع هذا الكتاب ونشره . وهو ولا شك كتاب فريد في أسلوبه ، حافل ببحوث شتى في آثار الرسول العظيم صلوات الله عليه وسلامه .

وبهذه المناسبة نذكر أن الفقيه العلامة « أحمد تيمور باشا » نشر في حياته جانباً من هذه البحوث النفيسة في « مجلة الهداية الإسلامية » وتولى بنفسه بعد ذلك إدخال بعض الإصلاحات على النسخة المطبوعة ،

وزاد في تعليقاته في بعض المواضع ، وأضاف إلى ما كتب من قبل
جديداً من بحثه واطلاعه .

وقد راجعت اللجنة تصحيحات الفقيد لأصول البحوث ، وأضافت
إليها ما عثرت عليه من تعليقاته وملاحظاته التي كانت مبعثرة هنا وهناك
من تراثه النفيس الذي تسلمته اللجنة ، حتى استكمل هذا المؤلف شتى
جزئياته وکلياته ، وبدأ اليوم كاملاً شاملاً رائعاً سهل العبارة غزير المادة ،
شأن جميع المؤلفات التيمورية التي عنيت اللجنة بنشرها تباعاً ، فلقيت من
جمهور القراء في مصر وسائر الأقطار العربية والإسلامية تقديرًا وإقبالاً ،
مما شجعها على مواصلة جهادها في سبيل خدمة العلم ونشر الثقافة العامة
في مصر وشتى أنحاء العالم العربي .

ومما هو جدير بالذكر ، أن هذا المؤلف هو آخر البحوث النفيسة
التي اختتم بها الفقيد العظيم حياته الطيبة المباركة ، تقرباً إلى الله ، وإعلاء
لشأن الدين ، وخدمة للعلم والتاريخ . وقد بلغ الفقيد غايته ، وأدّى رسالته ؛
رحمه الله وأجزل مثوبته .

مفتاح

لم أقصد يحثي هذا سرد ما دُونَ عن الآثار الشريفة التي اختصَّ بها محمد صلى الله عليه وسلم في حياته ، وخلفها بعد انتقاله إلى الرفيق الأعلى من سلاح ومراكب وثياب وآلات وغيرها ، فإن في كتب السيرة من بيان ذلك ما يغني عن التحدث به إلى القراء ، وإنما قصدت أن أحدثهم عن آثار اشتهرت نسبتها إليه صلى الله عليه وسلم وتداولها الناس بلا تمييز من غالبهم بين صحيحها وزائفها ، لأبين ما حققه العلماء عنها . وسأبدأ بالقضيب والبردة لاشتهارها في الخلافة العباسية . والله در العلامة الأديب صلاح الدين الصفدي حيث قال فيما صح من هذه الآثار :

أكرم بآثار النبي محمد من زاره استوفى السرور مزاره
يا عين دونك فانظري وتمعي إن لم تريه فهذه آثاره
واقطدي به جلال الدين ابن خطيب داريا دمشق فقال :

يا عين إن بعد الحبيب وداره ونأت مرابعه وشط مزاره
فلقد ظفرت من الزمان بطائل إن لم تريه فهذه آثاره

القضيب والبردة

أثران نبويان كانا من شارات الخلافة في الدولة العباسية ، كما كان الخاتم من الشارات السلطانية في دول المغرب ، والمظلة في الدولة الفاطمية على ما يقول « ابن خلدون »^(١) . غير أن الخاتم والمظلة وغيرهما من الشارات لم تكن لها قيمة أثرية كالشارة العباسية ، ولا سيما في شرف النسبة إلى المقام النبوي الكريم ، وإنما كانت آلات محدثة في تلك الدول ، قيمتها فيما كان بها من التحلية والترصيع .

أما القضيب فالمرئى في كتب السيرة أن النبي صلى الله عليه وسلم كان له قضيب من شَوْحَط يسمى الممشوق ، قيل : وهو الذى كان الخلفاء يتداولونه . قال الإمام الماوردى في الأحكام السلطانية : « وأما القضيب فهو من تركة رسول الله صلى الله عليه وسلم التى هى صدقة ، وقد صار مع البردة من أعلام الخلافة » . وكان الرسم أن يكون بيد الخليفة فى المواقب^(٢) ، وكانوا يطرحون البردة على أكتافهم فى المواقب

(١) المراد هنا بالخاتم حلية الإصبع المعروفة ، وكانوا يستجيدون صوغه من الذهب ويرصعونه بفضوص الجواهر واليواقيت ويلبسه السلطان شارة فى عرفهم . أما المظلة فلم ينفرد بها الفاطميون ، بل كان يشاركهم فيها ملوك الدول الأعجمية بالمشرك كبنى سلجوق وغيرهم تقليداً لملوك الصين ، وإنما اشتهر الفاطميون بمظلتهم لأنها كانت أبدع المظلات وأكثرها زخرفاً وترصيعاً .

(٢) كان من آلات المواقب فى الخلافة الفاطمية بمصر قضيب سماه صاحب صبح الأعشى بقضيب الملك وقال إنه « عود طوله شبر ونصف ملبس بالذهب المرصع بالدر =

جلوساً وركوباً . قال ابن كثير في تاريخه البداية والنهاية : « كان الخليفة يلبسها يوم العيد على كتفيه ويأخذ القضيبة المنسوب إليه صلى الله عليه وسلم في إحدى يديه ، فيخرج وعليه من السكينة والوقار ما يصدع القلوب ويهر الأبصار » اه . وبلغ من عنايتهم بهذين الأثرين الشريفين أنهم كانوا كلما قام منهم خليفة اهتم بهما اهتمامه بالبيعة ، فإذا كان غائباً بعثوا بهما إليه مع بشير الخلافة الذي ييردونه . وما زالت الشعراء تذكرهما في مدائح الخلفاء العباسيين إلى انقراض دولتهم من العراق تنويعاً بانفرادهم عن سائر الدول بهذه المنقبة ، كقول البحترى من قصيدة يصف فيها خروج المتوكل للصلاة والخطبة يوم عيد الفطر :

أُيِّدَتْ من فصل الخطاب بحكمة تُنَبِّئُ عن الحق المبين وتخبر
ووقفت في بُرد النبي مذكراً بالله تُنْذِرُ تارةً وتُبَشِّرُ
حتى لقد علم الجهول وأخلصت نفس المُرَوِّىَ واهتدى المتحير^(١)

= والجوهر يكون بيد الخليفة في المواكب العظام » انتهى . وكأنهم أرادوا به محاكاة شارة العباسيين ، وشتان ما بين التكحل والكحل .

(١) هذه القصيدة من أجود شعر البحترى ولكن قضى عليها سوء الحظ أن يختارها اليسوعيون لكتابهم مجانى الأدب (ج ٥ ص ١٦١ طبع سنة ١٨٨٤ م) فغيروا فيها ما شاء لهم الهوى أن يغيروه ، فإنهم لما ذكروا قوله في وصف احتشاد الناس والجند وخروج الخليفة عليهم في ذهابه إلى المصلى :

فالخيل تصهل والفوارس تدعى والبيض تلعب والأسنة تزهز
والأرض خاشعة تمد بثقلها والجو معتكر الجوانب أغبر
والشمس مائعة توقد بالضحي طوراً ويطفئها العجاج الأكر
حتى طلعت بضوء وجهك فأنجلت تلك الدجى وأنجاب ذاك العشير
واقفن فيك الناظرون فأصعب يومى إليك بها وعين تنظر =

وقوله من أخرى فيه :

وعليك من سيما النبىِّ مخايل شهدت برشدك
تبدو عليك إذا اشتما ت ببردة من فوق بردك
وقوله من أخرى فيه أيضاً :

وغدوت فى برد النبى وهديه تخشى لحكم قاصد وتؤمل
وقوله فيه أيضاً - وقد ذكر آثاراً أخرى كانت عند الخلفاء سنفرد
الكلام عليها : -

يتولى النبى ما تتولا ه ويرضى من سيرة ما تسير
حزت ميراثه بحق مبين كل حق سواه إفك وزور
فلك السيف والعمامة والخا تم والبرد والعصا والسرير
يريد بالعصا : القضيب . وقوله فيه أيضاً :

عليك ثياب المصطفى ووقاره وأنت به أولى إذا حصحص الأمر
عمامته وسيفه ورداؤه وسياه والهدى المشا كل والنجر
وقال من قصيدة يمدح بها المعتز بن المتوكل ، ويهجو المستعين بعد خلعه :
ولم يكن المعتز بالله إذ سرى لمعجز والمعتز بالله طالبه
رمى بالقضيب عنوة وهو صاغر وعزى من برد النبى منا كبه

= يجدون رؤيتك التى فازوا بها من أنعم الله التى لا تكفر
ذكروا بطلعتك النبى فهللوا لما طلعت من الصفوف وكبروا
عز عليهم أن يذكر سيد الخلق عليه الصلاة والسلام ويذكر معه خليفته وابن عمه
فجعلوا صدر هذا البيت (ذكروا بطلعتك الرشيد فهللوا) ولما وصلوا إلى بيت البردة
جعلوه (ووقفت فى برد الخطيب مذكراً) فليتنبه لذلك ، فإن كثيرين من النشء يتقون
بكتهم ، فيقعون فيما حرفوه وبدلوه .

وذكر ابن خلكان في وفياته عن ميمون بن هرون أنه قال : رأيت
أبا جعفر أحمد بن يحيى بن جابر بن داود البلاذرى المؤرخ وحاله متماسكة
فسألته فقال : كنت من جلساء المستعين فقصده الشراء فقال : لست
أقبل إلا ممن قال مثل قول البحرى فى المتوكل :

فلو أنَّ مشتاقًا تكلفَ فوقَ ما فى وُسْعِهِ لَسَعَى إِلَيْكَ المنبر
فرجعتُ إلى دارى وأتيتهُ ، وقلت له : قد قلت فيك أحسن مما قاله
البحرى فى المتوكل فقال : هاته ! فأنشدته :

ولو ان برد المصطفى إذ لبسته يظن لظن البرد أنك صاحبه
وقال وقد أعطيتهُ ولبسته نعم هذه أعطافه ومناكبه
فقال : ارجع إلى منزلك وافعل ما أمرك به ، فرجعت فبعثتُ إِلَى
بسبعة آلاف دينار وقال : ادخر هذه للحوادث من بعدى ، ولك عَلَى
الجرأية الكفاية ما دمت حيًّا اه^(١).

ومن ذلك قول الأبيوردى من قصيدة فى المقتدى بالله :

إلى المقتدى بالله والمقتدى به طوين بنا طيّ الرِّداء الفياض
ولُذنا بِأطراف القوافى وحسبنا من الفخر أن نهدي إليه القوافيا
ولم نتكلف نظمهن لأننا وجدنا المعالى فاخترعنا المعانیا
أيا وارت البرد المعظم ربّه بلغنا المُنَى حتى اقتسمنا التهانیا

(١) أورد عبد الرحيم العباسى البيتين والقصة ببعض اختصار فى نوع الغلو من معاهد
التنصيص ، ومثله فى فوات الوفيات لابن شاكر .

وقوله من قصيدة في المستظهر بن المقتدى :

وَعَلِيهِ مِنْ سِيَاءِ آلِ مُحَمَّدٍ نُورٌ يَجِيرُ عَلَى الدَّجَى مَرْمُوقٌ
وَالْبَرْدُ يَعْلَمُ أَنَّ فِي أَثْنَائِهِ كَرَمًا يَفُوقُ الْمِزْنَ وَهُوَ دَفُوقٌ
أَفْضَتْ إِلَيْهِ خِلَافَةَ نَبْوِيَّةٍ مِنْ دُونِهَا لِلْمَشْرِقِ بَرِيقٌ

وقول الأَرَجَانِي من قصيدة في المسترشد بن المستظهر :

وَرَثْتُ الَّذِي قَدْ ضَمُّهُ الْبَرْدُ مِنْ تَقَى وَمِنْ كَرَمٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَرِثَ الْبَرْدُ
وَوَلِيتُ مِنْ أَمْرِ^(١) الْقَضِيبِ شَبِيهَ مَا تَوَلَّاهُ مِنْ كَانَ الْمَشِيرَ بِهِ مَجْدًا
وَمَا هُوَ إِلَّا أَمْرُ أُمِّهِ الَّذِي إِلَيْكَ انْتَهَى إِذْ كُنْتَ مِنْ بَيْنِهَا فَرْدًا
وقوله من أخرى فيه :

يَا وَارِثَ الْبَرْدِ الْمَجْرَّرِ ذِيلَهُ فِي لَيْلَةِ الْمَعْرَاجِ فَوْقَ الْفَرْقَدِ
وَمَعُودًا يَدُهُ التَّخَصُّرَ بِالذِّى أَمْسَى بِهِ ظَهَرَ الْبَرَقِ وَقَدْ حُدِى
سَلْبًا هَدَى عِبْقَ النُّبُوَّةِ فِيهِمَا مِنْ كَفِّ خَيْرِ الْأَنْبِيَاءِ مُحَمَّدٍ^(٢)

وقول سبط ابن التعاويذى من قصيدة في المستضىء بن المستنجد :

إِنْ يَدَ الْمُسْتَضَىءِ أَسْمَحَ بِالْإِعْدِ طَاءَ يَوْمَ النَّدى مِنَ الدِّيمِ
خَلِيفَةُ اللَّهِ وَارِثُ الْبَرْدِ وَالْخَا تَمَّ وَالسَّيْفُ مَالِكُ الْأُمِّ
مَعِيدُ شَمْلِ الْإِسْلَامِ مِلْتَمًا وَكَانَ لَوْلَاهُ غَيْرُ مِلْتَمٍ^(٣)

(١) كذا في نسخة مخطوطة عتيقة عندنا من ديوانه . والذي في المطبوعة (ملك)

(٢) عولنا فيها على ما في النسخة العتيقة لأنها أصح من المطبوعة .

(٣) يشير بذلك إلى زوال الدولة الفاطمية في زمن المستضىء ، وإعادة الخطبة لبنى العباس

بمصر والشام والحجاز واليمن وبرقة .

وقوله من أخرى فيه :

آل النبوة بردها وقضيدها لكم ومنبرها معاً وحسامها
أبناء عم المصطفى الهادي وخي ر عصابة وطىء الثرى أقدامها
وقوله من أخرى في الناصر بن المستضىء لما بويع بالخلافة :

ورأينا برد النبي على منك ب طود من الأئمة راسي
مالتاً هديه المواقف من نو ر جلال يضىء كالنبراس
وقوله من أخرى :

ورث النبوة منبراً وخلافة وتقيّة^(١) فعليه منها ميسم
فلنكب ولعائق ولخنصر منه ثلاث قدرهن معظم
برد وسيف لا يفل وخاتم فجلبب ومقلد ومختم
وقوله من أخرى فيه :

له خاتم المبعوث أحمد خاتم الذبوة موروثاً مع السيف والبرد^(٢)
وما برحت طير الخلافة حووماً عليه كما حام الظماء على الورد

صفة البردة

في الكلام على شعار الخلافة من صبح الأعشى نقلا عن ابن الأثير
أن بردة النبي صلى الله عليه وسلم التي كان الخلفاء يلبسونها في المواكب
كانت شملة مخططة . وقيل : كانت كساء أسود مربعا فيها صغرا ه .

(١) كذا في نسختين من ديوانه إحداها مخطوطة .

(٢) أى له الخاتم موروثاً مع السيف والبرد من النبي المبعوث خاتم الأنبياء
عليه الصلاة والسلام .

وفى تاريخ الخلفاء للسيوطى : « أخرج الإمام أحمد فى الزهد عن عروة ابن الزبير رضى الله عنه أن ثوب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى كان يخرج فيه للوفد رداء حضرمى طوله أربع أذرع وعرضه ذراعان وشبر ، فهو عند الخلفاء قد خلق وطووه بثياب تلبس يوم الأضحى والفطر » اه .

اختلافهم فيها

لا خلاف بين المؤرخين فى كون البردة العباسية أثراً نبوياً صحيحاً ، ولكن لما كان الخلف عن النبى صلى الله عليه وسلم بردين اختلفوا فى التى صارت منهما لبنى العباس . قال الإمام الماوردى فى الأحكام السلطانية : « وأما البردة فقد اختلف الناس فيها ، فحكى أبان ابن ثعلب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان وهبها لكعب بن زهير واشتراها منه معاوية رضى الله عنه ، وهى التى يلبسها الخلفاء . وحكى ضمرة ابن ربيعة أن هذه البردة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أعطاها أهل أيلة أما نأ لهم ، فأخذها منهم سعيد بن خالد بن أبى أوفى ، وكان عاملاً عليهم من قبل مروان بن محمد ، فبعث بها إليه وكانت فى خزائنه حتى أخذت بعد قتله . وقيل اشتراها أبو العباس السفاح بثمائة دينار » اه . وقد حكى هذا الخلاف فى صبح الأعشى وتاريخ الخلفاء للسيوطى وأخبار الدول للقرمانى وحاشية البغدادى على شرح ابن هشام على بانت سعاد . وتفصيل هذا الإجمال فى الرأى الأول : أن كعب بن زهير بن أبى سلمى رضى الله عنه لما بلغه إسلام أخيه يُجَيِّر غضب وبعث إليه بأبيات يلومه

فيها على إسلامه ، فأهدر النبي صلى الله عليه وسلم دمه . ثم هداه الله إلى الإسلام فقدم المدينة وقصد المسجد فجلس بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم تائباً مسلماً وأنشده قصيدته بانت سعاد المشهورة ، فلما وصل إلى قوله :
 إن الرسولَ لسيفٌ يُستضاءُ به مهتدٌ من سيوفِ الله مسلول
 رمى صلى الله عليه وسلم إليه بردة كانت عليه ^(١) ، فلما كان زمن معاوية رضى الله عنه أراد شراءها من كعب بعشرة آلاف درهم ، فأرسل إليه يقول : ما كنت أؤثر بثوب رسول الله صلى الله عليه وسلم أحداً . فلما مات كعب اشتراها معاوية من أولاده بعشرين ألف درهم . قالوا : وهي التي عند الخلفاء العباسيين . وهو قول عز الدين بن الأثير في كتابيه : الكامل وأسد الغابة ، والخوارزمي في مفاتيح العلوم ، وابن هشام في شرح بانت سعاد ، وأبى الفداء سلطان حماة في تاريخه ، وابن حجر في الإصابة ، ومؤرخين غيرهم كثيرين .

ولم يذكر ابن كثير في تاريخه البداية والنهاية غير الرأي الثاني فقال :
 « قال الحافظ البيهقي : وأما البردة التي عند الخلفاء فقد روينا عن محمد ابن إسحق بن يسار في قصة تبوك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث إلى أهل أيلة بردة مع كتابه الذي كتب لهم أما نألهم ، فاشترأها أبو العباس عبد الله بن محمد بثلاثمائة دينار ، يعني بذلك أول خلفاء بني العباس ، وهو

(١) قال البغدادى فى حاشيته على شرح ابن هشام على بانت سعاد : « ولهذا سمعت هذه القصيدة قصيدة البردة . وقد سمى الناس قصيدة البوصيرى بقصيدة البردة تشبيهاً بها للمتبرك ، والصواب تسميتها بالبردة بالهمز لبراء ناظمها من الفالج » .

السفاح رحمه الله تعالى . وقد توارث بنو العباس هذه البردة خلفاً عن سلف « وهو قول الذهبي أيضاً على ما في تاريخ الخلفاء للسيوطي ونص عبارته : « وأما الذهبي فقال في تاريخه : أما البردة التي عند الخلفاء آل عباس فقد قال يونس بن بكير عن ابن إسحق في قصة غزوة تبوك : إن النبي صلى الله عليه وسلم أعطى أهل أيلة بردة مع كتابه الذي كتب لهم أماناً لهم ، فاشتراها أبو العباس السفاح بثلاثمائة دينار » . قال السيوطي : فكأن التي اشتراها معاوية فقدت عند زوال دولة بني أمية . وقال القرمانى : وقيل كُفن فيها معاوية . وذكر ياقوت هذه البردة في معجم البلدان ولم يتعرض لخبر انتقالها إلى الخلفاء فقال في كلامه على أيلة : « ويقال إن بها برد النبي صلى الله عليه وسلم ، وكان وهبه لِيُحَنِّتَ بن رؤبة^(١) لما سار إليه إلى تبوك » . وكذلك فعل المقرئ في خططه والجزيري في درر الفرائد المنظمة في ذكرهما أيلة فإنهما لم يتعرضا لخبر انتقال هذه البردة إلى الخلفاء . وخلاصة ما ذكرناه أن من بها من اليهود يزعمون أن عندهم برد النبي صلى الله عليه وسلم الذي وجه به إليهم أماناً لهم ، وأنهم يظهرونه رداءً عندياً ملفوفاً في الثياب ، وقد أبرز منه مقدار شبر لثلاث تدنسه الأيدي .

والخلاصة : أن البردة العباسية إما أن تكون بردة أيلة بقيت عند أهلها إلى أن اشتراها السفاح بثلاثمائة دينار ، أو إلى أن انتزعها منهم عامل مروان بن محمد آخر الخلفاء الأمويين وحملها إليه ، ثم صارت من بعده

(١) يحنة بضم الياء وفتح الحاء المهملة ثم نون مشددة مفتوحة ثم تاء وهو صاحب أيلة ، ورؤبة بالباء الموحدة .

للعباسيين . وإما أن تكون البردة الكعبية التي اشتراها معاوية رضي الله عنه ، ثم حفظت عند بني أمية حتى ورثها منهم العباسيون . وأكثر المؤرخين على هذا الرأي . وقد فصل المسعودي في مروج الذهب خبر مصير البردة والقضيبي إلى بني العباس بما لم نره لغيره من المؤرخين ، فذكر ما كان من فرار مروان بن محمد من العباسيين إلى مصر ، وأنهم لحقوه بها ، وقد نزل بوضير فهجموا عليه وقتلوه ، ثم رأوا خادماً له شاهراً سيفه يحاول الدخول إلى بناته ، فأخذوه وسألوه عن أمره ، فقال : أمرني مروان إذا هو قُتل أن أضرب رقاب بناته ونسائه ، فلا تقتلوني فإنكم والله إن قتلتموني ليفقدن ميراث رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقالوا له : انظر ما تقول ، قال : إن كذبت فاقتلوني ، هلموا فاتبعوني . ففعلوا فأخرجهم من القرية إلى موضع رمل فقال : اكشفوا هنا فكشفوا فإذا البرد والقضيبي ومخضرة^(١) قد دفنها مروان لثلاث تصل إلى بني هاشم ، فوجه بها عامر بن إسماعيل إلى عبد الله بن علي ، فوجه بها عبد الله إلى أبي العباس السفاح ، فتداولت ذلك خلفاء بني العباس .

مصير البردة والقضيبي

ذكر ابن الزيات في الكواكب السيارة في ترتيب الزيارة بالقرافتين الكبرى والصغرى قبراً اشتهر بأنه قبر صاحب البردة ، واستطرد في الكلام عليه لذكر البردة النبوية فقال : « قال ابن عثمان هو صاحب

(١) في النسختين الباريسية والبولاقية من مروج الذهب (ومخضر) بغير تاء .

البردة يعنى بردة النبي صلى الله عليه ، وسلم وذلك غير صحيح ، قال المؤلف :
وبردة النبي صلى الله عليه وسلم لم يبلغنا فى آثار النبي صلى الله عليه وسلم
التي دخلوا بها إلى مصر أن فيها بردة غير البردة التي فى أيدي بنى العباس ،
وهى موجودة عندهم إلى الآن ، ولم يذكر علماء التاريخ أنه دخل إلى مصر
من الصحابة ممن له بردة من اسمه صاحب البردة . وآثار النبي صلى الله
عليه وسلم مثبتة عند العلماء ، ويحتمل أن تكون هذه البردة بردة رجل
من الصالحين » اهـ . وإنما نقلنا هذه العبارة لبيان ما فيها من الوهم ، فإن وفاة
ابن الزيات كانت سنة ٨١٤ ، وقوله عن البردة : « هى موجودة عندهم
إلى الآن » يفيد بقاءها بأيديهم إلى عصره ، والصحيح أنها فقدت قبل
ذلك بقرن ونصف . ولعله نقل هذا القول عن مؤرخ قديم كانت البردة
فى زمنه عند الخلفاء ، وسبها عن التثنية عليه .

وقال المسعودى بعد عبارته المتقدمة فى مصير البردة والقضيب
إلى العباسيين ما نصه : « فتداولت ذلك خلفاء بنى العباس إلى أيام المقتدر ،
فيقال : إن البرد كان عليه يوم مقتله ، ولست أدري أكل ذلك باق مع
المقتى لله إلى هذا الوقت وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلاثمائة فى نزوله الرقة
أم قد ضيع ذلك » . وفى صبح الأعشى : « وكان القضيب والبردة المتقدما
الذكر عند خلفاء بنى العباس ببغداد إلى أن انزعجها السلطان سنجر
الساجوقى^(١) من المسترشد بالله ثم أعادها إلى المقتى عند ولايته سنة خمس

(١) سنجر بن ملكشاه السلاجوقى سلطان خراسان وغزنة وما وراء النهر .
ولد سنة ٤٧٩ هـ وتوفى سنة ٥٥٢ هـ ودفن بها وهو بكسر السين وسكون النون وفتح =

وثلاثين وخمسمائة . والذي يظهر أنهما بقيا^(١) عندهم إلى انقضاء الخلافة من بغداد سنة ست وخمسين وستمائة ، فإن مقدار ما بينهما مائة وإحدى وعشرون سنة ، وهى مدة قريبة بالنسبة إلى ما تقدم من مدتهما .

وفى تاريخ الخلفاء للسيوطى عن البردة : « وكانت على المقتدر حين قتل وتلوث بالدم ، وأظن أنها فقدت فى فتنة التتار . فإن الله وإنا إليه راجعون » .

وفى خزنة الأدب للبغدادى عن كعب بن زهير : « فأمنه النبي صلى الله عليه وسلم وأجازه برده الشريفة التى بيعت بالثمن الجزيل ، حتى بيعت فى أيام المنصور الخليفة بمبلغ أربعين ألف درهم^(٢) ، وبقيت فى خزائن بني العباس إلى أن وصل المغول^(٣) وجرى ما جرى والله أعلم بحقيقة الحال »

قلت : والذي يؤيد بقاء البردة والقضيب عند الخلفاء إلى آخر مدتهم ببغداد ورود ذكرهما فيما تقدم من مدائح الشعراء إلى زمن الناصر بن المستضى .

وذكر السيوطى فى تاريخ الخلفاء عن ابن الساعى أنه حضر مبايعة الخليفة

== الجيم . وسبب تسميته بذلك أنه ولد بمدينة سنجار فيها والده بذلك أخذاً من اسم المدينة . والسلجوق بفتح السين وسكون اللام وضم الجيم وسكون الواو وبعدها قاف ، نسبة لجدّه الأعلى سلجوق بن دقاق (بضم الدال المهملة وبين القافين ألف وقد يقال تقاف بالتاء) .

(١) فى الأصل (أنها بقيت) .

(٢) المعروف أن الذى اشترى البردة الكعبة معاوية رضى الله عنه ، والذي اشترى البردة الأيلية أبو العباس السفاح فى قول كما تقدم ، فذكر البغدادى المنصور سهو منه . والله أعلم .

(٣) المغول بضمّتين قوم هلاكو ، وقد يقال المغل بلا واو . وهم من القبائل التورانية ويعدهم بعض المؤرخين من التتار ، والأكثر على أنهما جنسان متقاربان ، وإنما غلب التعبير عنهم بالتتار فى التواريخ العربية لأنهم استخدموا فى غزوهم بلاد الإسلام كثيراً من التتار فى جيوشهم .

الظاهر وهو ابن الناصر المذكور فرآه بثياب بيض والبردة النبوية على كتفه ، وكانت خلافته سنة ٦٢٢ في أواخر أيام دولتهم ببغداد ، ولم يكن بعده غير خليفتين المستنصر والمستعصم ، ثم كانت كائنة التار وانتقلت الخلافة العباسية الصورية إلى مصر . وقد صرح القرمانى فى موضعين من تاريخه أخبار الدول بمصير البردة والقضيب ، فذكر أن هلاكو^(١) لما طرق بجيوشه بغداد سنة ٦٥٦ أشار وزير الخلافة مؤيد الدين العلقمى على الخليفة المستعصم بالخروج إليه ومصالحته ، فخرج إليه فى جمع من العلماء والأعيان ، والبردة النبوية على كتفيه والقضيب بيده ، فأخذها منه هلاكو وجعلها فى طبق من نحاس وأحرقها وذر رمادها فى دجلة ، وقال : ما أحرقها استهانة بهما وإنما أحرقها تطهيراً لهما . اهـ . ثم أمر بقتل جميع من خرج إليه فقتلوا ، ووضع الخليفة وولده فى جوالقين وضربا بالأرانب ومداق الجص حتى ماتا . وفى هذه الكائنة التى لم ينسب الإسلام بمثلها يقول ابن خلدون : ونزل هلاكو ببغداد وخرج إليه الوزير مؤيد الدين ابن العلقمى فاستأمن لنفسه ورجع بالأمان إلى المستعصم وأنه يبقيه على خلافته كما فعل بملك بلاد الروم ، فخرج المستعصم

(١) هلاكو بضم الهاء وتخفيف اللام وضم الكاف وقد يقال هولاء هووا بعد الهاء : أول الملوك الأيلخانية بفارس . وهو ابن تولى خان ابن طاغية المغول الأكبر جنكيز خان أرسله أخوه منكوقا آن ملك المغول إلى فارس ففتحها وتولى أمرها ثم استولى على العراق وكان منه ما كان إلى أن هلك بالمراغة سنة ٦٦٣ كما فى التواريخ التركية وتاريخ ابن القرات . والذى فى المنهل الصافى سنة ٦٦٤ . وقال ابن خلدون سنة ٦٦٢ .

ومعه الفقهاء والأعيان ، فقبض عليه لوقته وقتل جميع من كان معه ، ثم قتل المستعصم شذخا بالعمد ووطأ بالأقدام لتجافيه بزعمه عن دماء أهل البيت وذلك سنة ست وخمسين ، وركب إلى بغداد فاستباحها واتصل العبت بها أياما ، وخرج النساء والصبيان وعلى رؤوسهم المصاحف والألواح فداستهم العساكر وماتوا أجمعين . ويقال إن الذي أحصى ذلك اليوم من القتلى ألف ألف وستمائة ألف^(١) . واستولوا من قصور الخلافة وذخائرها على ما لا يبلغه الوصف ولا يحصره الضبط والعدّ ، وألقيت كتب العلم التي كانت بخزائنها جميعا في دجلة ، وكانت شيئا لا يعبر عنه مقابلة في زعمهم بما فعله المسلمون لأول الفتح في كتب الفرس وعلومهم » اه كلام ابن خلدون .

(تنبيه) روى القرمانى فى أخبار الدول خبر البردة الكعبية وبقائها عند بنى العباس إلى أن أحرقها هلاكو مع القضيب كما مر ، ثم حكى قول من خالف وزعم أن التي كانت عندهم بردة أيلة لا بردة كعب ، وأعقب هذا القول بقوله : « وأظن أنها البردة التي وصلت لسلطين آل عثمان ، فهى اليوم عندهم يتباركون بها ويسقون ماءها لمن به ألم فيبرأ بإذن الله ، واتخذ لها المرحوم السلطان مراد خان تغمده الله بالرحمة والغفران صندوقا

(١) أعاد ابن خلدون خبر هذه الكائنة فى كلامه على دولة بنى هلاكو فقال : إن عدد القتلى كان « ألف ألف وثلاثمائة ألف » . والذي يذكره مؤرخو الترك مع تشيعهم لهلاكو وإحسانهم الظن به أن عدد الذين قتلهم فى هذه الواقعة من أهل بغداد البالغين خاصة بلغ ٨٠٠ ألف نسمة . فإذا ضمنا إليهم قتلى الجيش المجموع من المملكة العراقية الذى أباده قبل أن يصل إلى أهل بغداد ثم قتلى الصبيان غير البالغين الذين داستهم سنايك الحيل وعلى رؤوسهم المصاحف والألواح ظهر لنا أن عبارة ابن خلدون التى صدىها بكلمة (ويقال) ليست بعيدة عن الصواب .

من ذهب زنته ^(١) مثقال فوضعها فيه تعظيماً لها . اهـ . ولا يخفى أن
بنى العباس لم يكن عندهم غير بردة واحدة أحرقها هلاكو سواء كانت بردة
كعب أو بردة أيلة . والذي ظنه المؤلف لا يتجه إلا بتقدير جمعهم بين
البردتين وانتقال الأيلية إلى بنى عثمان بعد إحراق هلاكو للكعبية ، وهو
شئ لم يقل به ولم ينقله فيما نقله من الأقوال حتى يصح له بناء ظنه عليه .
وسياتى الكلام على ما كان عند بنى عثمان من الآثار في فصل خاص .

(١) يياض بمقدار كلمة في النسخ الثلاث التى عندنا من هذا التاريخ .

المنبر والسريـر والخاتم والعمامة والسيف

تقدم في مدائح الشعراء للخلفاء العباسيين ذكر آثار نبوية كانت في حيازتهم غير القضيـب والبردة، وهي المنبر والسريـر والخاتم والعمامة والسيف . وإلى القراء الكرام ما وقفنا عليه وما ظهر لنا فيها :

أما المنبر : فالنائب المحقق أن منبره صلى الله عليه وسلم الذي كان يخطب عليه لم ينقل من مسجده ، وإنما كان معاوية رضى الله عنه أراد نقله إلى الشام ، وكتب بذلك إلى مروان بن الحكم عامله بالمدينة ، فلما اقتلعه كثر لفظ الناس نخشى الفتنة وزاد فيه درجاً ورده ، وقال : إنما اقتلعه لأزيد فيه . فبقى في مكانه حتى احترق باحتراق المسجد سنة ٦٥٤ . فلما راد أن بنى العباس ورثوه وهو في مكانه لأنه نقل إليهم بالعراق كغيره من الآثار التي نقلت إليهم . وقد كان لاحتراق هذا الأثر النبوى وقع أليم في نفوس المسلمين ولا سيما عند ساكنى المدينة وزائريها لما فاتهم من لمس رمايته التي كان صلى الله عليه وسلم يضع يده المباركة عليها ولمس موضع قدميه الشريفتين .

وأما السريـر : فلم يكن له صلى الله عليه وسلم سريـر كالذى للملوك يجلس عليه للحكم فيكون من بعده للخلفاء ، وإنما كان له سريـر ينام عليه قوائمه من ساج بعث به إليه أسعد بن زرارة . وفي سيرة ابن سيد الناس أن الناس من بعده كانوا يحملون عليه موتاهم تبركاً به . وقال البرهان

الحلبى فى حاشيته على هذه السيرة^(١) : « قوله وكان له سرير ينام عليه ، قال السهيلي فى أول النصف الثانى من روضه^(٢) : وكان سريره صلى الله عليه وسلم خشبات مشدودة بالليف يبعث فى زمن بنى أمية فاشتراها رجل بأربعة آلاف درهم . قاله ابن قتيبة . اهـ . فيحتمل أن السرير المذكور هنا غير ما ذكره المؤلف ، وذلك لأن المؤلف قال فيه هنا : فكان الناس يحملون عليه موتاهم تبركاً . ويحتمل أنه هو ، وهو الظاهر ، والله أعلم . اهـ . قلت : وهو منقطع الخبر بعد ذلك فى التاريخ ، ولم أقف فيه على غير ما ذكرت ، فليحقق أمره .

وأما الخاتم : فإن الذى كان يلبسه صلى الله عليه وسلم ويحتم به كتبه إلى الملوك ونقش عليه (محمد رسول الله) كان من بعده عند الصديق ثم عند الفاروق رضى الله عنهما ، فلما كانت خلافة ذى النورين عثمان رضى الله عنه سقط من يده فى بئر أريس بالمدينة والتمسوه فلم يجدوه فإغتم لذلك غمًا شديدًا وتطير منه واتخذ له خاتمًا على مثاله نقش عليه « محمد رسول الله » فكان يحتم أو يتختم به ، ثم اتخذ الخلفاء من بعده خواتيم لكل

(١) اسمها عيون الأثرى فى فنون المنازى والسير للحافظ محمد بن محمد اليعمرى الشهير بابن سيد الناس المتوفى سنة ٧٣٤ . وهى من أجود ما كتب فى السيرة النبوية ، واختصرها مؤلفها فى جزء صغير سماه نور العيون فى سيرة الأئمين المأمون . وعلى الأصل حاشية اسمها التبراس على سيرة ابن سيد الناس للحافظ برهان الدين إبراهيم الحلبي الشهير بالبرهان الحلبي وبسبط ابن العجمي المتوفى سنة ٨٤١ .

(٢) هو الروض الأنف للإمام العلامة عبد الرحمن السهيلي المتوفى سنة ٥٨١ وهو شرح على السيرة النبوية لابن هشام ، وقد طبع بمصر سنة ١٣٣٢ فى جزئين .

خاتم نقش يخصه إلى انقراض الخلافة من بغداد على ما أجمع عليه المؤرخون .
غير أن المحكي في كتب السيرة من اختلاف الروايات في صفة الخاتم حمل
ابن سيد الناس على أن يقول في سيرته باحتمال أن تكون خواتم متعددة .
قلت : وعلى هذا فيحتمل أن يكون أحدها وصل إلى بني العباس فحفظوه
تبركاً به وتشرفاً ، وإن كان لكل خليفة منهم خاتم يحتم به ، عليه
نقش يخصه .

وأما العمامة : فهي المسماة بالسحاب ، وكان صلى الله عليه وسلم وهبها
لعل عليه السلام ، ثم صارت بعد ذلك لبني العباس ، وصرح باسمها البحتري
في قوله في المهتدى بالله :

غدا المهتدى بالله والغيث ملحق بأخلاقه أو داخل في عدادها
إمام إذا أمضى الأمور تتابع على سنن من قصدها وسدادها
متى يتعمم بالسحاب تلت على كفى لها محتاز إرث اسودادها

قال أبو العلاء المعري في عبث الوليد عن هذا البيت : « المعنى أن
بني العباس كان عندهم برد النبي وعمارته وأصحاب الأخبار يروون أن النبي
صلى الله عليه وسلم كان يسمى عمارته السحاب وكذلك روى أسماء للآلة
التي كان يستعملها ، فزعموا أن مقصده كان يسمى « الجامع » وقضيباً كان له
يأخذه في يده : المشقوق ، وكان له قدح من خشب يسمى النسعة^(١) فيما
ذكروا ، ونحو هذه الأشياء » . اهـ .

(١) عبارة الحافظ مغلطاي في سيرته : « وقعب يسمى النسعة » .

وأما السيف : فالمراد به ذو الفقار^(١) وهو سيف كان للعاص

ابن منبه السهمي الذي قتل كافراً يوم بدر ، فغنمه النبي صلى الله عليه وسلم وكان لا يفارقه في حرب من حروبه ، وسمى بذلك لحزوز مثل فقرات الظهر كانت في وسطه ، وكانت قائمته وقبيعته وحلقته وعلاقته من فضة . وما لخص ما ذكره ابن خلكان وابن الأثير عن وصوله إلى بني العباس أن النبي صلى الله عليه وسلم كان وهبه لعل عليه السلام ثم صار لبنيه ، وكان مع محمد ابن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب رضوان الله عليه لما خرج بالمدينة على أبي جعفر المنصور ، فلما رمى بسهم في قتاله مع جند المنصور وأيقن بالموت أعطاه لرجل من التجار كان له عليه أربعمائة دينار . وقال : خذه فإنك لا تلقى أحداً من آل أبي طالب إلا أخذه وأعطاك حقلك . فلما ولي جعفر بن سليمان العباسي على المدينة اشتراه منه بأربعمائة دينار ، ثم أخذه منه المهدي ، ثم صار من بعده للهادي ثم للرشيد ، وراه الأصمعي وهو متقلد به بطوس فقال : يا أصمعي ألا أريك ذا الفقار ؟ قال : فقلت بلى جعلني الله فداك . قال : فاستل سيفي هذا . فاستلته فرأيت فيه ثمانى عشرة فقارة . ويروى أن الرشيد أعطاه ليزيد بن مزيّد لما خرج لقتال الوليد بن طريف . اهـ . وإذا صح هذا فلا ريب في أن الخلفاء استردوه منه أو من ورثته لأنه كان بعد ذلك عند المعتز بن المتوكل وذكره البحرى في قوله من قصيدة يعدّحه بها :
وقد ترك العباس عندك وابنه عَمَلِي قَتَنَ مَرَمَى النجم حيث تحيرا

(١) بفتح أوله وكسره .

هما وَرَثَاكَ ذَا الْفَقَارِ وَصِيْرَا إِلَيْكَ الْقَضِيبَ وَالرِّدَاءَ الْمَحْبِرَا
 ثُمَّ صَارَ مِنْ بَعْدِهِ لِلْمَهْتَدِيِّ بِاللَّهِ وَفِيهِ يَقُولُ الْبَحْتَرِيُّ أَيْضًا مِنْ قَصِيدَةٍ :
 وَإِنْ يَتَقَلَّدُ ذَا الْفَقَارِ يُصَفِّى إِلَى شَجَاعِ قَرِيْشٍ فِي الْوَعْيِ وَجَوَادَهَا
 وَفِي خَبَرٍ آخَرَ رَوَاهُ الْمُقْرِزِيُّ فِي خَطِّطِهِ أَنَّ ذَا الْفَقَارَ وَصَمَّامَةَ ^(١)
 عَمْرُو بْنُ مَعْدَى كَرَبَ الزَّيْدِيِّ وَسَيْفَ الْإِمَامِ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَدِرْقَةَ
 حَمْزَةَ بْنِ عَبْدِ الْمَطْلَبِ وَسَيْفَ جَعْفَرِ الصَّادِقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وَسَيُوفًا أُخْرَى
 لِبَعْضِ الْخُلَفَاءِ الْفَاطِمِيِّينَ كَانَتْ بِخَزَانَةِ السِّلَاحِ الْفَاطِمِيَّةِ بِمِصْرَ ، ثُمَّ نَهَبَتْ
 وَقَسَمَتْ عَلَى الْأُمَرَاءِ الَّذِينَ ثَارُوا عَلَى الْمُسْتَنْصِرِ الْفَاطِمِي كُنَى حَمْدَانَ
 وَشَاوِرَ وَغَيْرِهِمْ . ا هـ . فَإِنْ صَحَّ أَنَّ ذَا الْفَقَارَ كَانَ مِنْهَا كَمَا ذَكَرَ فَيَحْتَمِلُ أَنْ
 يَكُونَ وَصَلَ إِلَى الْفَاطِمِيِّينَ بِالشَّرَاءِ مِنْ بَعْضِ تِجَارِ الْعِرَاقِ بَعْدَ زَمَنِ الْمَهْتَدِيِّ ،
 كَمَا يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ عَادَ إِلَى الْعَبَّاسِيِّينَ بَعْدَ نَهْبِ خَزَانَةِ السِّلَاحِ الْفَاطِمِيَّةِ .
 وَاللَّهُ سَبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَعْلَمُ .

(١) الصمَّامَةُ بِكَسْرِ فَسْكَوْنٍ وَيُقَالُ الصَّمَامُ أَيْضًا بِلَا ثَاءٍ فِي آخِرِهِ سَيْفٌ قَاطِعٌ
 مَشْهُورٌ لَهُ أَخْبَارٌ يَطُولُ ذِكْرُهَا وَكَانَ لِعَمْرُو بْنِ مَعْدَى كَرَبَ الزَّيْدِيِّ ، وَذَكَرَهُ بَعْضُ
 أَصْحَابِ السِّيَرِ فِيمَا صَارَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ السِّيُوفِ ، وَالْأَكْثَرُونَ عَلَى أَنَّ عَمْرًا
 أَهْدَاهُ إِلَى خَالِدِ بْنِ سَعِيدِ بْنِ الْعَاصِ ثُمَّ وَصَلَ بَعْدَ ذَلِكَ إِلَى الْمَهْدِيِّ الْعَبَّاسِيِّ ثُمَّ صَارَ
 لِابْنِهِ الْهَادِي ثُمَّ لِلرَّشِيدِ . وَفِي الْكَامِلِ لِابْنِ الْأَثِيرِ مَا يَدُلُّ عَلَى بَقَائِهِ عِنْدَهُمْ إِلَى زَمَنِ الْوَائِقِ .
 وَفِي أَخْبَارِ الْمُتَوَكِّلِ أَنَّهُ كَانَ عِنْدَهُ فَدَفَعَهُ إِلَى بَاغِرِ التُّرْكِيِّ فَقَتَلَهُ بَاغِرٌ بِهِ لَمَّا غَدِرَ بِهِ الْأَتْرَاكُ .
 قَالَ ابْنُ بَنَاتَةَ فِي سَرَحِ الْعَيُونِ : وَمَنْ عِنْدَ بَاغِرٍ انْقَطَعَ خَبَرُهُ . قُلْتُ : ثُمَّ انْتَقَلَ بَعْدَ ذَلِكَ
 إِلَى الْفَاطِمِيِّينَ بِمِصْرَ حَتَّى نَهَبَتْ خَزَانَةَ سِلَاحِهِمْ عَلَى مَا ذَكَرَهُ الْمُقْرِزِيُّ إِنْ صَحَّ أَنَّهُ كَانَ
 بِهَذِهِ الْخَزَانَةِ .

الآثار النبوية في مصر

بمصر آثار نبوية مشهورة محفوظة في حجرة خاصة بالمسجد الحسيني بالقاهرة تقصد بالزيارة في أيام معلومة . ولهذه الآثار الشريفة أخبار تتسلسل في التواريخ ، وتنتقل بالباحث من زمن إلى زمن ومن مكان إلى مكان ، حتى تصل به إلى مستقرها المحفوظة به الآن . وأول ما عرف عنها أنها كانت عند بني إبراهيم يئنبع ، واستفاض أنها بقيت موروثة عندهم من الواحد إلى الواحد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم . ثم اشتراها في القرن السابع أحد بني حنّا^(١) الوزراء الأماثل ونقلها إلى مصر وبني لها رابطاً على النيل عرف برباط الآثار ، وهو المعروف الآن بجامع أثر النبي . وفي هذا الرباط يقول المقرئ في خطه مانصه :

رباط الآثار : هذا الرباط خارج مصر بالقرب من بركة الحبش مطاً على النيل ومجاور للبستان المعروف بالمعشوق . قال ابن المتوج : هذا الرباط عمره الصاحب تاج الدين محمد ابن الصاحب نحر الدين محمد ولد الصاحب بهاء الدين على ابن حنا بجوار بستان المعشوق ، ومات رحمه الله

(١) بنو حنا من الأسر العريقة في الإسلام . واسم جدهم حنا بكسر الحاء المهملة وفتح النون المشددة على ما ضبطه المقرئ في خطه وكأنه منقول من اسم الحناء التي يختضب بها ثم قصرته العامة على عاداتها في قصر كل ممدود . وقد يظن من لم يعرف ضبطه أنه بفتح الحاء وأنهم من الأقباط الذين أسلموا وتولوا الوزارة أو المباشرة في مصر كبنى مكاس وبني الجيعان وغيرهم .

قبل تكلمته ، ووصى أن يكمل من ريع بستان المعشوق فإذا كملت عمارته يوقف عليه . ووصى الفقيه عز الدين بن مسكين فعمر فيه شيئاً يسيراً وأدركه الموت إلى رحمة الله تعالى ، وشرع الصاحب ناصر الدين محمد ولد الصاحب تاج الدين في تكلمته فعمر فيه شيئاً جيداً . انتهى وإنما قيل له رباط الآثار لأن فيه قطعة خشب وحديد يقال إن ذلك من آثار رسول الله صلى الله عليه وسلم اشتراها الصاحب تاج الدين المذكور بمبلغ ستين ألف درهم فضة من بنى إبراهيم أهل ينبع ، وذكروا أنها لم تزل عندهم موروثه من واحد إلى آخر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وحملها إلى هذا الرباط وهى به إلى اليوم يتبرك الناس بها ويعتقدون النفع بها ، وأدركنا لهذا الرباط بهجة وللناس فيه اجتماعات ولسكانه عدة منافع ممن يتردد إليه أيام كان ماء النيل تحته دائماً ، فلما انحسر الماء من تجاهه^(١) وحدثت المحن من سنة ست وثمانى مائة قل تردد الناس إليه وفيه إلى اليوم بقية . ولما كانت أيام الملك الأشرف شعبان بن حسين بن محمد قلاوون قرر فيه درساً للفقهاء الشافعية وجعل له مدرساً وعنده عدة من الطلبة ولهم جار في كل شهر من وقف وقفه عليهم وهو باق أيضاً ، وفي أيام الظاهر برقوق وقف قطعة أرض لعمل الجسر المتصل بالرباط . وبهذا الرباط خزانة كتب وهو عامر بأهله . اهـ . وقد رأينا قبل التعرض لما ذكره غيره عن الرباط والآثار أن نأتى على ما لا بد منه في هذا البحث من التعريف ببيانيه فنقول :

(١) عاد النيل إليه بعد انحساره وما زال إلى اليوم يجرى بجواره ، ولكن في مجرى صغير ، وحدث بين هذا المجرى وبين المجرى الكبير جزيرة .

التعريف بياى الرباط : هو سـ ليل بيت الوزارة والسؤدد والوجهة والعلم الوزير الصاحب تاج الدين محمد ابن الصاحب نخر الدين محمد ابن الوزير الصاحب بهاء الدين على بن محمد بن سليم بن حنا . ولد سنة ٦٤٠ وسمع من سبط السلفى وحدث وكان له شعر جيد وانتهت إليه رئاسة عصره وكان صاحب صيانة وسؤدد ومكارم وشاكلة حسنة وبزة فاخرة وتناه فى المطعم والملبس والمسكن ونال فى الدنيا من العز والجاه ما لم ينله جده الصاحب الكبير بهاء الدين بحيث إنه لما تقلد الصاحب نخر الدين ابن الخليلى الوزارة سار من القاعة وعليه التشرىف إلى داره وقبل يده وجلس بين يديه ثم انصرف إلى داره . وما زال الصاحب تاج الدين على هذا القدر من العز إلى أن تقلد الوزارة سنة ٦٩٣ فلم ينبج وتوقفت الأحوال فى أيامه فصرف سنة ٦٩٤ وأعيد إلى الوزارة مرة ثانية فلم ينبج فعزل . وكانت وفاته سنة ٧٠٧ ودفن فى مقابر بنى حنّا بالقرافة . (وولد والده) الصاحب نخر الدين محمد بن بهاء الدين على سنة ٦٢٢ وناب عن والده فى الوزارة وولى ديوان الأعباش ووزارة الصعبة فى أيام الظاهر بيبرس وسمع الحديث بالقاهرة وكان له شعر جيد ودرس بمدرسة والده المسماة بالصاحبية البهائية التى كانت بمصر القديمة إلى أن توفى فى حياة والده سنة ٦٦٨ فدرس بها بعده ولده ، وتوارث بنو حنا ولاية نظرها وتدريسها إلى أن عطلت وخربت ثم هدمها بعد ذلك الأمير تاج الدين الشوبكى والى القاهرة ومصر سنة ٨١٨ ، ولما دلى

الصاحب نحر الدين في لحده قام الإمام محمد بن سعيد البوصيرى ناظم
البردة وأنشد في الجمع المحتشد بمقبرة بنى حنّا :

نم هنيئاً محمد بن على يجميل قدمت بين يديكا
لم تزل عوننا على الدهر حتى غلبتنا يد المنون عليك
أنت أحسنت في الحياة إلينا أحسن الله في الممات إليك
فبكى الناس . وكان لها محل كبير ممن حضر .

(وأما جده) فهو الوزير الصاحب بهاء الدين على بن محمد ولد
بمصر سنة ٦٠٣ . وتقلبت به الأحوال في كتابة الدواوين إلى أن ولى
المناصب الجليلة واشتهرت كفايته فاستوزره السلطان الملك الظاهر
دكن الدين بيبرس البندقدارى سنة ٦٥٩ وفوض إليه تدبير المملكة
فقام بأعبائها وتصرف في أمورها بحزم وعزم وعفة عن الأموال ، حتى
إنه لم يكن يقبل من أحد هدية إلا أن تكون هدية فقير أو شيخ معتقد
يتبرك بما يصل من أثره ، وكان يستعين على ما التزم به من المبرات
بالتاجر . ولما مات الظاهر بيبرس أقره ولده الملك السعيد بركة على
ما كان عليه مدة والده . وكانت وفاته سنة ٦٧٧ قال المقرئى : ورزى
بفقد ولديه الصاحب نحر الدين والصاحب زين الدين فعوضه الله عنهما
بأولادهما ، فاما منهم إلا نجيب رئيس فاضل مذكور .

عود إلى الرباط والآثار : تقدم في عبارة المقرئى تسميته برباط
الآثار وهو اسمه المشهور الذى رأيناه مذكوراً به في كل ما وقفنا عليه
من كتب التاريخ ، وسماه ابن دقاق في كتابه الانتصار لواسطة عقد

الأمصار بالرباط الصاحبى التاجى نسبة إلى بانيه الصاحب تاج الدين ونقل عبارة ابن المتوج التى نقلها المقرئى عنه ثم بين ما به من الآثار بقوله : « قلت وهو مسجد الآثار الشريفة اشتراها الصاحب تاج الدين من الشريف ^(١) بمبلغ مائتين وخمسين ألف درهم وجعلها فى خزانة فى هذا الرباط وهى قطعة من العنزة ^(٢) وقطعة من القصعة ومروء وملقط ومخصف ووقف على هذا المكان بستان المعشوق » ثم قال بعد ما ذكر ما وقفه الأشرف شعبان على هذا الرباط : « قلت ذكرت مرة مسجد الآثار عند الشيخ الإمام العالم برهان الدين إبراهيم بن زقاعة الغزى ^(٣) فى سنة ثلاث وتسعين وسبعمائة فقال لى إني استنبطت من القرآن آية فى حق الآثار وهى قوله تعالى « فانظروا إلى أثر رحمة الله » وقرئت آثار ^(٤) فأثر رحمة الله هو المطر ومدد النيل منه والمكان مطل على النيل

(١) بياض فى النسخة بمقدار كلمتين ، ولاريب فى أن الساقط اسم أحد بنى إبراهيم الذى اشترى منه الصاحب هذه الآثار .

(٢) العنزة بفتحيتين الحربة القصيرة .

(٣) هو العالم الصوفى المعتقد صاحب الديوان توفى بالقاهرة سنة ٨١٦ ودفن خارج باب النصر ، وكان قبره مشهوراً إلى القرن الثانى عشر ، وزاره العلامة الشيخ عبد الغنى النابلسى وذكره فى رحلته الحقيقة والحجاز فى رحلة الشام ومصر والحجاز فقال إنه بالزقاق الذى على ميمنة الخارج من باب النصر فى مزار عليه باب وعلى تابوته ثوب أخضر . قلت وما زلت أبحث عنه حتى اهتديت اليه فى هذا الطريق فرأيت فى حالة يرثى لها من الإهمال وقد هدم المزار وزال التابوت والستر ولم يبق غير قبر حقير لاصق بالحائط لا كتابة عليه ، ولولا اعتقاد العامة فيه وقصدهم إياه بالزيارة لدرس وجهل مكانه . وزقاعة بضم الزاى وفتح القاف المشددة وبعدها ألف وعين مهملة مفتوحة وتاء .

(٤) قوله « وقرئت آثار » هى القراءة المشهورة التى كتب عليها العلامة الآلوسى =

وآثار رحمة الله هي آثار النبي صلى الله عليه وسلم بدليل قوله تعالى :
« وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين » ولا يجتمع الأثر والآثار في سائر الدنيا
إلا بمصر خاصة ، فهذا أعظم نفع لها .

واستطرد ابن كثير في البداية والنهاية لذكر بعض هذه الآثار
في كلامه عما ورد في المكحلة النبوية فقال : « وبلغني أن بالديار المصرية
مزاراً فيه أشياء كثيرة من آثار النبي صلى الله عليه وسلم اعتنى بجمعها
بعض الوزراء المتأخرين فمن ذلك مكحلة وميل ومشط وغير ذلك والله أعلم .
وذكر القلقشندي في صبح الأعشى الرباط والآثار في كلامه على
الربط التي بالفسطاط بعبارة مختصرة قال فيها : « وأما الخوانق ^(١) والربط
فلم تعهد بالفسطاط ، غير أن صاحب بهاء الدين بن حنا عمر رباط الآثار
الشريفة النبوية بظاهر قبل الفسطاط واشترى الآثار الشريفة ، وهي ميل
من نحاس وملقط من حديد وقطعة من العنزة وقطعة من القصعة بجملة
مال وأثبتها بالاستفاضة وجعلها بهذا الرباط للزيارة » . اهـ . وقد وهم في قوله

= في تفسيره ثم قال قرأ الحرمان وأبو عمر وأبو بكر (أثر) بالإفراد وفتح الهمزة والثاء
وقرأ سلام (إثر) بكسر الهمزة وإسكان الثاء ، وقال الكشف وقرئ أثر وآثار
على الوحدة والجمع .

(١) الخوانق جمع خانقاه وقد يقال فيها خوانك وخانكاه بالكاف وهي كلمة مولدة
معربة عن الفارسية وأصلها فيها بالكاف ، والمراد بها أما كن جعلت للصوفية يتخلون فيها
 لعبادة الله تعالى ، وكان حدوث الخوانك في الإسلام في حدود الأربعمئة ويعبر الأتراك
عن الخانقاه بالتكية . ونقل على مبارك باشا في كلامه على الخانقاه السرياقوسية من خطه
(ج ١٠ ص ٨٧) عن حاشية ابن عابدين على الدر المختار في الفقه ما يفيد أن الخوانك
هي الزوايا الخاصة بصوفية الروم .

بهاء الدين لأن باني الرباط ومشتري الآثار حفيده تاج الدين كما قدمنا وهو ما أجمع عليه المؤرخون . والظاهر أن الذي أوقعه في ذلك ما اشتهر من نسبة الرباط إلى أحد بني حنا ، فذهب ظنه وقت كتابة هذه الجملة إلى أكبرهم وأولهم في الشهرة وهو بهاء الدين سهوآ منه ، وجل من لا يسهو . وقلده في هذا الوهم ابن إلياس^(١) بقوله في حوادث تولى الظاهر بيبرس على مصر سنة ٦٥٨ ما نصه : « واستقر بالصاحب بهاء الدين بن حنا وزيراً بالديار المصرية . أقول : والصاحب بهاء الدين بن حنا هذا هو الذي بنى مكان الآثار النبوية المطل على بحر النيل واشترى الآثار الشريفة بجملة كبيرة من المال وأودعها في ذلك المكان الذي أنشأه على بحر النيل وصارت الناس يقصدون ذلك المكان بسبب الزيارة في كل يوم أربعاء » اهـ . غير أنه أفادنا أن زيارة هذه الآثار كانت في تلك العصور كل يوم أربعاء . وذكره البرهان الحلبي في حاشيته المسماة نور النبراس على سيرة ابن سيد الناس ، فقال : « وفي آخر مصر مكان على النيل مبنى بحكم البنيان وله طاقات مطلة على النيل ومكان ينزل إليه وبركة من ماء النيل ومطهرة بماء النيل وفيه خزانة من خشب وعليها عدة ستور الواحد فوق الآخر وداخل

(١) ووهم فيه على مبارك باشا وهما آخر في خططه ، فنسب بناءه للسلطان الملك الظاهر بيبرس وذلك في كلامه على القرية الملاصقة له المسماة الآن (أثر النبي) ومن العجيب أنه لما تكلم عليه هنا لم يبين أنه المسجد الذي كان يسمى برباط الآثار ، ولما تكلم على الربط ذكر رباط الآثار ونقل عبارة للقرنزي بنصها ولم يزد عليها شيئاً مما حدث فيه بعد ذلك ، فأوهم بصنيعه هذا أنهما مكانان لاعلاقة لأحدهما بالآخر ، والحقيقة أنه مكان واحد تغير اسمه ومعاله مع الزمن .

الخزانة علبة صغيرة من جوز فيها من الآثار الشريفة قطعة من قصعة وقطعة من العنزة وميل من نحاس أصفر ومخضف صغير وملقط صغير لإخراج الشوك من الرجل أو غيرها، وقد زرناه غير مرة، وهو مكان مليح في غاية النزاهة وما بعده إلا بساتين، وقد زرناه مرة فرآني الإمام جلال الدين ابن خطيب داريا الدمشقي بسوق كتب القاهرة، فسألني: أين كنتم؟ قلت: زرنا الآثار وكان معنا بعض الأدباء. فقال: هل نظم أحد في ذلك شيئاً؟ فقلت: لا. فقال: أنا زرتة من أيام وكُتبت فيه بيتين، فأنشدني ذلك، وهما:

يا عين إن بعد الحبيب وداره ونأت مرابعه وشطاً مزاره
فلك الهنا فلقد ظفرت بطائل إن لم ترَينه فهذه آثاره

عنها انتهى كلام البرهان الحلبي ونقلناه من حاشيته المذكورة، وقد نقله أيضاً العلامة المقرئ في فتح المتعال باختلاف يسير في بعض الألفاظ. ولما وصل ابن بطوطة الرحالة الشهير إلى مصر في أوائل القرن الثامن وأراد الخروج من القاهرة إلى الصعيد للحج مر بهذا الرباط ونزل به ليلة ووصفه في رحلته بقوله: «ثم كان سفرى من مصر عن طريق الصعيد برسم الحجاز الشريف، فبت ليلة خروجى بالرباط الذى بناه الصاحب تاج الدين بن حنا بدير الطين^(١) وهو رباط عظيم بناه على مفاخر عظيمة وآثار

(١) دير الطين قرية على الشاطئ الشرقى للنيل جنوبى مصر القديمة وملاصقة من شمالها للقرية التى بها رباط الآثار المسماة الآن بأثر النبى. ولعل هذه لم تكن حدثت زمن ابن بطوطة ولهذا قال عن الرباط إنه بدير الطين لقربه منها. وكان بدير الطين جامع قديم غير الرباط عمره أيضاً الصاحب تاج الدين ابن حنا ووسع بعد أن كان ضيقاً.

كريمة أودعها فيه وهي قطعة من قصعة رسول الله صلى الله عليه وسلم والميل الذي كان يكتحل به والدرفش^(١) وهو الإشفى الذي كان يخصف به نعله ، ومصحف أمير المؤمنين علي بن أبي طالب الذي بخط يده رضى الله عنه ، ويقال إن صاحب اشترى ما ذكرناه من الآثار الكريمة النبوية بمائة ألف درهم ، وبني الرباط وجعل فيه الطعام للوارد والصادر والجراية لخدام تلك الآثار الشريفة . نفعه الله تعالى بقصده المبارك « اه .

فائدة : إنما خرج ابن بطوطة إلى الصعيد لأنه أراد أن يسلك في حجه طريق صحراء عيذاب ، كما سلكها قبله ابن جبير في القرن السادس ، فلم يتيسر له الحج منها كما تيسر لابن جبير لفتنة كانت قاعة بعيذاب منعتهم من ركوب البحر منها إلى جدة ، فعاد أدراجه إلى القاهرة . وقد أقام حجاج مصر والمغرب زيادة عن مائتي سنة يسافرون إلى الحجاز من هذه الطريق فكانوا يركبون السفن في النيل من ساحل القسطاط إلى قوص ، ثم يعبرون هذه الصحراء على الإبل إلى عيذاب (بكسر العين المهملة أو فتحها) وهي

(١) الدرفش بكسر ففتح فسكون لفظة فارسية معناها الراية وعربتها العرب بالسين المهملة وقد تقال بالمعجمة كأصلها وتطلق باللغتين على العلم الكبير والعظيم من الإبل والضخم من الرجال ولم تقف على استعمالها بمعنى الإشفى إلا في عبارة ابن بطوطة فلعلها كانت مستعملة بهذا المعنى في عامية المغرب الأقصى في زمنه أو في اللغة المسماة بالشلحة (بفتح فسكون) التي تتكلم بها بعض القبائل . وأهل المغرب لا يعرفون هذه اللفظة الآن وقد وردت في شعر ابن قيس الرقيات بالسين المهملة بمعنى العلم في قوله :

تكنه خرقة الدرفش من الشمس كليث يفرج الأجما
وكذلك في قول البحترى من قصيدته في وصف إيوان كسرى :

فاذا مارأيت صورة أنطاكية ارتعت بين روم وفرس
والنبايا موائل وأنوشروان يزجي الصفوف تحت الدرفش

بلدة على بحر القلزم المسمى الآن بالبحر الأحمر ، ثم يركبون منها إلى جدة سفناً تسمى الجلاب وواحدتها جلبة ، وكذلك تجار الهند واليمن والحبشة كانوا يردون مصر بمتاجرهم من هذه الطريق ، ولم تزل مسلكا للحجاج في ذهابهم وإيابهم من سنة بضيع وخمسين وأربعمائة إلى سنة بضيع وستين وستمائة ، وذلك منذ الشدة العظيمة زمن المستنصر الفاطمي وانقطاع الحج في البر إلى أن كسا الظاهر بيبرس الكعبة وأخرج قافلة الحاج في البر من الطريق القديمة المسلوكة إلى أيلة وغيرها ، فقل سلوك الحجاج لهذه الصحراء واستمرت المتاجر تحمل فيها حتى بطل ذلك بعد سنة ٧٦٠ . وكان أمر هذه الجلاب غريباً لأن ألواحها لم تكن تضم بالمسامير كما في سائر السفن ، بل كانت تحاط بأمراس تقتل من قشر جوز الهند المسمى بالنرجيل وتعمل لها قلع من حصر منسوجة من خوص شجر المقل وهو الدوم ، وقد فصلنا الكلام عليها في رسالة لنا في السفن الإسلامية وأسمائها ، أعاننا الله على إتمامها .

عود إلى رباط الزنار : وذكره السيوطي في حسن المحاضرة بما نصه : « رباط الآثار بالقرب من بركة الحبش عمره صاحب تاج الدين ابن صاحب نخر الدين ابن صاحب بهاء الدين ابن حنّا وفيه قطعة خشب وحديد وأشياء آخر من آثار رسول الله صلى الله عليه وسلم اشتراها صاحب المذكور بمبلغ ستين ألف درهم فضة من بني إبراهيم أهل ينبع . ذكروا أنها لم تزل موروثه عندهم من واحد إلى واحد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وحمّلها إلى هذا الرباط ، وهى به إلى اليوم يتبرك بها » . انتهى .

ولم يزل هذا الرباط عامراً مأهولاً بالمصلين والزوّار ، حتى تبدلت الدول واختلت الأحوال ، فنقلت منه الآثار الشريفة خوفاً عليها من السراق ، وتغيرت معالمة بتجديد بنائه . والذي وقفنا عليه من ذلك ، تجديدّه زمن إبراهيم باشا الدفتردار المتولى على مصر سنة ١٠٧١ ، كما في تراجم الصواعق في واقعة الصناجق^(١) ففيه أنه لما عزل وأنزلوه من القلعة صلى الجمعة يوم ١٢ شوال سنة ١٠٧٣ في مسجد أثر النبي الذي بمصر القديمة ، وكان وسعه وجدده وبني تحته رصيفاً لدفع ماء النيل عن بنائه ، ورتب له مائة عثمانى ، وأرصد له طيناً ، وعين به قراء ووظائف وحراساً قاطنين به وشرط النظر لمن يلى أغاوية اليكيجرية بمصر . وذكر الجبرتي في حوادث رجب من سنة ١٢٢٤ ما نصه : « وفيه تقيد الخواجة محمود حسن بزرجان باشا بعمارة القصر والمسجد الذي يعرف بالآثار النبوية ، فعمرها على وضعها القديم ، وقد كان آل إلى الخراب » اهـ . قلت : والراجع أنه البناء الباقي إلى اليوم ، ولم يزل هذا المسجد مقام الشعائر والصلوات مقصوداً بالزيارة على قلة ، لحجر فيه يزعمون أن عليه أثر قدمه صلى الله عليه وسلم ، وليس بصحيح ، وسيأتى كلامنا عليه وعلى ما يماثله من الأحجار في تمة ملحقة بهذا الفصل . وأما القصر الذي ذكره الجبرتي فقد زال ، ويجوار المسجد الآن بعض أطلال ماثلة لعلها من بقاياها .

(١) هو في حوادث وقعت بمصر ولم نعلم اسم مؤلفه ، وورد في مواضع منه أنه (ابن محمود) . وكان (مرسل) أحد العلماء الذين رافقوا جيش الفرنسيين الذي احتل مصر سنة ١٢١٣ عثر عليه بها فحمله إلى بلاده ثم سعيها في استنساخ هذه النسخة من هذا الأصل سنة ١٣٣٨ وحفظها بنجارتنا .

نقل الآثار الشريفة إلى قبة الغورى

تولى السلطان الملك الأشرف قانصوه الغورى عَلَى المملكة المصرية سنة ٩٠٦ وقاتل بمرج دابق شمالى حلب فى قتاله مع السلطان سليم العثمانى سنة ٩٢٢ ، وهو الذى بنى المدرسة المعروفة الآن بجامع الغورى عن يمين السالك بشارع الغورية إلى باب زويلة ، وبنى أمامها عن يسار السالك القبة المنسوبة إليه ليدفن بها فلم يقدر له ذلك ، وفقدت جثته تحت سناياك الخليل فدفن فى الحظيرة المكشوفة لهذه القبة قريبه السلطان الأشرف طومان باى آخر ملوك الجراكسة بمصر الذى تولى بعده وقتله السلطان سليم سنة ٩٢٣ ، ودفن بها أيضاً على ما فى ابن إياس خوندخان تكن مستولدة السلطان الغورى المتوفاة سنة ٩٢٢ مع أولادها . ونقل على مبارك باشا فى خطظه عن النزهة السنية فى أخبار الخلفاء والملوك المصرية لحسن بن حسين المعروف بابن الطولونى ، أن السلطان الغورى بنى هذه القبة للآثار النبوية والمصحف العثمانى الذى أضافه إليها ، ونص عبارته : « وقد جدد مولانا السلطان عز نصره للمصحف العثمانى الذى بمصر المحروسة بخط مشهد الحسين رضى الله عنه جلداً بعد أن آل جلده الواقع له إلى التلف والعدم ، ولمكثه من زمن سيدنا عثمان إلى يومنا هذا ، فألهم الله تعالى مولانا المقام الشريف خلد الله ملكه بطلبه إلى حضرته بالقلعة الشريفة ، ورسم بعمل هذا الجلد المعظم المتناهى فى عمله لاكتساب أجره وثوابه ؛ وأن يعمل له وقاية من الخشب المنقوش بالذهب والفضة وأنواع

التحسين، وبرز أمره الشريف بعمارة قبة معظمة تجاه المدرسة الشريفة التي أنشأها بخط الشرايشيين بين سوق الجملون وسوق الحشيبية^(١) بمباشرة الجناب العالى الأمير تانى بك الخازندار وناظر الحسبة الشريفة ومأمعها، وأن تكون القبة معظمة المأمور بعملها إن شاء الله تعالى مناظرة فى الحسن والإتقان لما سبق، كما رتبها بنظره الشريف ليكون فيها ما خصها الله تعالى به من تعظيمها بالمصحف الشريف العثمانى والآثار الشريفة النبوية وغير ذلك من مصاحف وربعات». اهـ .

قلت : المصحف المذكور المنسوب لذى النورين عثمان رضى الله عنه هو الذى كان بـمدرسة القاضى الفاضل التى كانت بدرب ملوخية^(٢) المعروف الآن بدرب القزازين قرب المشهد الحسينى ، وقد زالت هذه المدرسة وعفا أثرها ، وكانت بها خزانة كتب عديمة النظير تجمع على ما قيل مائة ألف مجلد . ذكر المقرئى أنها تفرقت ولم يبق منها غير هذا المصحف الذى تسميه الناس مصحف عثمان بن عفان . وقد استطرد العلامة القسطلانى فى المناقب التى ألفها للإمام الشاطبى ناظم الشاطبية لذكر هذا المصحف فى كلامه على تولى هذا الإمام الإقراء بهذه المدرسة ، فنقل عبارة

(١) تصغير خشبة ، ويعرف هذا السوق أيضاً بسوق البخاتيين وقيل له سوق الحشيبية لحشبة جعلت على بابه تمنع الراكب من الوصول إليه كما فى خطط المقرئى .

(٢) ملوخية الذى عرف به هذا الدرب رجل كان صاحب ركاب الحاكم بأمر الله الفاطمى ويعرف بملوخية الفراش وقد قتله الحاكم وبأشر قتله ولعل اسمه منقول من اسم النبات الذى يطبخ ويؤكل بمصر فيكون بضم الميم واللام وكسر الخاء المعجمة وفتح اللثاء التختية المشددة .

المقریزی فی وصفه ، ثم ذکر نقله إلى قبة الغوری مع الآثار النبویة ، بعد أن ذکر تشتت كتب هذه الخزانة ، فقال : « ولم یبق منها إلا المصحف الکبیر المکتوب بالخط الأول الکوفی المعروف بمصحف عثمان بن عفان ، ویقال : إن القاضی الفاضل اشتراه بنیف وثلاثین ألف دینار ، علی أنه مصحف أمير المؤمنین عثمان بن عفان رضی الله عنه ، وكان فی خزانة مفردة بجانب المحراب من غریبه ، وعلیه جلالة ومهابة ، ولم یزل بها حتی خرب ما حول المدرسة المذكورة ، وآل أمرها إلى التلاشی ، فنقله السلطان الأشرف أبو النصر قانصوه الغوری أجرى الله تعالى علی یده الخیرات ، وختم أعماله بالصالحات ، كما نقل الآثار النبویة لاستیلاء السراق علی القاطنین بمحلها ، وعدم الأمن وخوف الضیاع ، إلى القبة التي أنشأها تجاه مدرسته الشریفة بقرب الأقباعین^(١) داخل باب

(١) نسبة إلى یبع الأقباع جمع قبع وهی کلمة مولدة كانت تطلق علی نوع من القلانس والعرب تقول قبة بضم القاف وفتح الباء المشددة والعین وتطلقها علی خرقه تخاط کالبرنس یلبسها الصبیان . وقد ذکر المقریزی فی خططه سوق الاقباعین وقال إنه بخط تحت الربع خارج باب زویلة مما یلی الشارع السلوک فیهِ إلى قنطرة الحرق إلى آخر ما ذکره ، وهو وإن كان قریبا فی الجملة من تلك الناحية فقد كان الأولى بالتسلطانی فی فی التعریف بمكان المدرسة والقبة أن یقول بالشرایشیین كما قال ابن الطولونی فی عبارته المتقدمة . وسوق الشرایشیین هذا ذکره المقریزی فی خططه وموضعه الآن الجزء الذی به قبة الغوری وجامعه من شارع الغوریة وكانت تباع فیہ الخلع وأنواع القلانس وإنما قیل له سوق الشرایشیین نسبة لیبیع الشرایش وواحدها شربوش وهو قلنسوة تشبه التاج كأنها شکل مثلث ، ولما بطل استعمالها بقی السوق معروفا بها إلى أن زال . ولما استعمل الناس فی القرون الأخيرة القلنسوة المغریة الحمراء ذات العذبة المعروفة عند المغاربة بالشاشیة سموها بالشربوش إلا أنهم أبدلوا شینه الأولى طاء فقالوا فیهِ طربوش ومن شاء =

زويلة والخرق^(١) من القاهرة المعزية . انتهى .

أما كون هذه الآثار التي ذكر ابن الطولوني والقسطلاني نقلها إلى القبة هي عين الآثار التي كانت بالرباط ، فقد صرح به الشيخ شمس الدين محمد بن أبي السرور البكري في الكواكب السائرة في أخبار مصر والقاهرة ، فقال في الباب الذي عقده لتعداد ما اختصت به مصر وأهلها من الفضائل ما نصه : « الحادى عشر اختصاصهم بوضع الآثار الشريفة النبوية بأرضهم وبلادهم ، وهي قطعة من العنزة ومرود ومخصف وقطعة من القصعة ، وضم إليها أشياء من آثار الأولياء . قيل إن صاحب تاج الدين بن حنا اشترى هذه الآثار الشريفة بستين ألف درهم ، وجعلها في مكان بالمعشوق بالروضة^(٢) على شاطئ النيل معروف ، وقد نقل ذلك السلطان الغورى إلى مدفنه بالقاهرة . والله أعلم » .

فيعلم من هذا أن الآثار الشريفة نقلت من رباطها إلى هذه القبة في أيام الغورى أى في أوائل القرن العاشر ، غير أننا لم نقف فيما بأيدينا من النصوص على تعيين السنة التي نقلت فيها ، ويغلب على الظن أنها المذكورة في المدة الضائعة من تاريخ ابن إياس المطبوع بمصر ، وهى من أثناء سنة ٩٠٦ ، إلى آخر سنة ٩٢١ . أما قول ابن إياس في حوادث

= الوقوف على أصل لفظه وتاريخ حدوثه فليرجع إلى مقال لنا في ذلك نشرناه في صحيفة (الفتح) الصادرة في ٥ المحرم سنة ١٣٤٥ ومجلة الزهراء ص ٢٢ سنة ١٣٤٥ .

(١) تسمى هذه الجهة اليوم بباب الخلق باللام بدل الراء .

(٢) هذا سهومنه ، فإن البستان المسمى بالمعشوق ، لم يكن بجيزة الروضة بل يقرب بركة الحبش .

جمادى الثانية من سنة ٩٢٣ هـ ، عن السلطان سليم : « وفيه أشيع أن السلطان سليم شاه نزل في مركب وتوجه نحو الآثار الشريفة ، فقام عليه ريح عاصف فالتفت به المركب في البحر فكاد أن يغرق وأغمى عليه وما بقي من موته شيء ، وقيل إنه كان سكران لا يعي ، فكان في أجله فسحة حتى عاش إلى اليوم » . فلا يؤخذ منه أن الآثار كانت باقية بالرباط إلى هذا العهد ، بعد ما ثبت نقلها قبل ذلك زمن الغورى ، وإنما مراده أنه ذهب للتنزه إلى الجهة المعروفة بذلك ، لأن المسجد بقى معروفاً بالآثار بعد نقلها منه .

نقلها إلى المسجد الحسينى

ظلت هذه الآثار الشريفة محفوظة بقبة الغورى مدة ثلاثة قرون . ونيف إلى سنة ١٢٧٥ هـ ، ولا تخلو التواريخ من ذكرها في هذه المدة ، خلال الحوادث ، فما وقفنا عليه من ذلك قول ابن إياس في حوادث سنة ٩٢٦ هـ ، حينما توقف النيل عن الوفاء في ولاية ملك الأمراء خيربك على مصر . « فلما كان يوم الأحد سادس رمضان نزل ملك الأمراء وتوجه إلى المقياس وكان قد مضى من مسرى ستة وعشرون يوماً ، فأقام ملك الأمراء في المقياس . ذلك اليوم ، وفرّقوا أجزاء الربرة على الحاضرين من الفقهاء ، فقرءوا فيها عشرين دوراً ، ثم قرءوا صحيح البخارى هناك ، وأشيع أن ملك الأمراء فرّق هناك على الفقهاء مالا له صورة وأحضر الأطفال الأيتام وفرق عليهم مبلغاً له صورة وأحضر من الآثار الشريفة القميص من المدرسة الغورية^(١) »

(١) هذا سبق قلم ، والصواب من القبة الغورية .

ووضعه في فسقية المقياس وغسلوه في الماء الذي بها ، وكثر هناك الضجيج والبكاء والتضرُّع إلى الله تعالى بالزيادة .

وذكر الجبرتي في حوادث ربيع الأول من سنة ١٢٠٣ ما نصه :
« وفي عاشره أخبر بعض الناس قاضي العسكر أن بمدفن السلطان الغوري بداخل خزانة في القبة آثار النبي صلى الله عليه وسلم ، وهي قطعة من قميصه وقطعة عصا وميل ، فأحضر مباشر الوقف وطلب منه إحضار تلك الآثار وعمل لها صندوقاً ووضعها في داخل بقعة وضَمَّهَا بالطيب ووضعها على كرسي ورفعها على رأس بعض الأتباع وركب القاضي والنائب وصحبته بعض المتعممين مشاة بين يديه يجهرون بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم حتى وصلوا بها إلى المدفن ووضعوها في داخل الصندوق ورفعوها في مكانها بالخزانة » .

ثم رُئي نقلها من هذه القبة فنقلت منها سنة ١٢٧٥ هـ . ذكر عصرنا الفاضل السيد محمود البيلالوي شيخ المسجد الحسيني والمتولى الآن شيخاً على المسجد الزينبي في (التاريخ الحسيني) أنه سمع من شيوخ ثقات كبراء أنها نقلت من القبة إلى المسجد الزينبي ، ثم نقلت بموكب حافل إلى خزانة الأمتعة بالقلعة ، ثم نقلت منها سنة ١٣٠٤ هـ إلى ديوان الأوقاف وفي سنة ١٣٠٥ هـ نقلت إلى قصر عابدين مقرّ الخديو ، ومنه نقلت في السنة المذكورة إلى المسجد الحسيني .

ولما عزم الخديو محمد توفيق باشا على نقلها تلك السنة أمر أن تتخذ لها خزانة بالحائط الشرقي في المسجد الحسيني ، ثم استجلبها من ديوان الأوقاف

إلى قصر عابدين ، وأمر أن تحفظ في شقق من الديباج الأخضر مطرزة بسلوك الفضة المذهبة ، قيل إن زوجته الأميرة المعظمة أمينة بنت الأمير إلهامى باشا ابن والى مصر عباس باشا الكبير ، تولت تطريزها بيدها تعظيماً وإجلالاً لتلك الآثار . ثم احتفل بنقلها من القصر إلى المسجد يوم الخميس الخامس والعشرين من جمادى الثانية من السنة المذكورة في موكب نغم لم تشهد مصر مثله ، مشى فيه نحو ثلاثين ألف نسمة على أقدامهم ، واحتشد لرؤيته على جانبي الطريق نحو مائتى ألف وكان الخديو دعا في ذلك اليوم العلماء والأعيان إلى القصر للمسير في الموكب ، وأمر أن يسير فيه جميع مستخدمي الدواوين ، وكانت الآثار الشريفة ملفوفة في خمس شقق من الديباج مرفوعة على أسرة في بهو الاستقبال الكبير وحولها محارم البخور ، فلما تم توافد المدعوين استدعى الخديو إلى مجلسه قاضى مصر والشيخ الأكبر محمداً الأنبا بى شيخ الأزهر والشيخ محمداً البناء المفتى ومن كبار العلماء الشيخ محمداً المهدي العباسى ، وكان وقتئذ معزولاً عن الأزهر والإفتاء ، ومن أبناء البيوت القديمة السيد عبد الباقي البكرى نقيب الأشراف وشيخ الصوفية ، والسيد عبد الخالق السادات سليل بنى وفا ، ثم حمل الخديو على يديه إحدى هذه الودائع الكريمة ، وأشار إلى أخيه الأمير حسين كامل باشا ، والغازى أحمد مختار باشا المندوب السلطانى العالى ، ومحمد ثابت باشا رئيس الديوان الخديوى ، ومحمد رءوف باشا ناظر الأوقاف ، بحمل الأربع الباقية ، فحملوها وخرجوا جميعاً إلى سلم القصر المشرف على ميدان عابدين ، فتقدم السيد عبد الباقي البكرى وتسلم

الوديعة التي يحملها الخديو وانتظم مع الحاملين لبقية الآثار . وكان خروج
الموكب من القصر في ضحى ذلك اليوم ، ووصل إلى المسجد الحسينى بالسير
الرويد فى ثلاث ساعات ، وكان مسيره من عابدين فى شارع عبد العزيز
إلى ميدان العتبة الخضراء فشارع محمد على إلى ميدان باب الخلق فشارع تحت
الربع إلى باب زويلة فشارع السكرية فالعقادين فالغورية فالسكة الجديدة
إلى أن وصل إلى المسجد الحسينى ، وكان فى طليعته خمسة من فرسان
الشرطة يتلوهم جميع أرباب الأشائر الذين بالقاهرة حاملين أعلامهم ،
ثم كوكبة من فرسان الجيش فكتيبة من مشاته فالأعيان والوجوه
فالعلماء وطلبة العلم فمشرّون وصيفاً يحملون مجامر البخور وقاقم العطر ،
ومن بعدهم حمله الآثار فى صف ، يتوسطهم السيّد البكرى ، وعن يمينه
ويساره الغازى مختار باشا وكان لابساً حلتة العسكرية ، والأمير حسين
باشا أخو الخديو ، وفى الطرفين محمد ثابت باشا ورعوف باشا ، ثم يتلوهم
الوزراء — وكان يقال لهم فى ذلك الحين : النظار — ثم مستخدمو الدواوين
فشرذمة من رجال الشرطة . ولما وصلوا بالآثار إلى المسجد أودعوها
فى خزائنها وأودعوا معها المصحف العثمانى ، وتسلم مفاتيحها ناظر الأوقاف ،
ثم تليت آيات من الكتاب العزيز ، ووقف الشيخ سليم عمر القلعاوى
شيخ مسجد القلعة فخطب خطبة نوه فيها بالآثار ودعا للسلطان وللخديو .
ثم لما تولى على مصر الخديو عباس حامى باشا سنة ١٣٠٩ هـ ، رأى أن
ينشئ للآثار حجرة خاصة فتم إنشاؤها سنة ١٣١١ هـ وراء الحائط الشرقى
للمسجد الحسينى والحائط الجنوبى لقبة المشهد ، وجعل لها بابان واحد إلى

المسجد وواحد إلى القبة، وجعلت خزانة الآثار بحائطها الجنوبي، وهي باقية فيها إلى اليوم تقصد بالزيارة في أيام معلومة.

عدد هذه الآثار وصفتها

نرى فيما سردناه من الروايات اختلافاً في عدد هذه الآثار بالزيادة والنقصان، وسبب ذلك أن من الراوين من لم يرها، فذكر ما تقل له عنها بالسمع، ومنهم من تساهل في استقصاء عددها واكتفى بذكر بعضها، ولقد أحسن من احتاط منهم فأعقب عبارته بقوله: (وغير ذلك) والذي يتحصل من مجموع هذه الروايات أنها كانت قطعة من العزة أى الحربة، وقطعة من القصعة، وورود، وعبر عنه بعضهم بالميل، وقال بعضهم من نحاس وبعضهم من نحاس أصفر، وملقط، وقال عنه بعضهم من حديد، وقيده بعضهم بكونه صغيراً لإخراج الشوك من الرجل أو غيرها. ونخسف، وقيده بعضهم بكونه صغيراً، وعبر عنه بعضهم بالإشفى الذي كان صلى الله عليه وسلم يخسف به نعله. ومكحلة، ومشط، وانفرد بذكرها ابن كثير. وقطعة عصا وانفرد بذكرها الجبرتي. وقطعة من القميص ولم يذكرها إلا ابن إياس والجبرتي. ومن غير الآثار النبوية المصحف المنسوب لأmir المؤمنين علي عليه السلام، ثم أضاف إليها السلطان الغورى المصحف العثمانى الذى كان بمدرسة القاضى الفاضل وهما باقيان إلى اليوم وفى نسبتها إليهما نظر^(١).

ولم يبق من الآثار النبوية اليوم إلا المكحلة والورود والقطعة من القميص

(١) سفرد مقالا فيما نسب من المصاحف الشريفة إلى الصحابة رضى الله عنهم ولا سيما ذى النورين وما روى عنها وقيل فيها.

والقطعة من القضيب وهى التى عبّر عنها الجبرتى بقطعة عصا . وضم إليها شعرتان من اللحية النبوية الشريفة^(١) محفوظتان فى زجاجة . وقد حفظت جميعها فى أربعة صناديق صغيرة من الفضة ملفوفة فى قطع من الديباج الأخضر المطرز : المكحلة والمروء فى صندوق ، والشعرتان فى صندوق ، والقميص فى صندوق ، والقضيب فى صندوق . وفقدت بقية الآثار التى كانت معها ، وهى القطعة من العنزة ، والقطعة من القصعة ، والمخصف ، والملقط ، والمشط ، ولا يعلم فى أى زمان فقدت .

تنبئيه

قال ابن إياس فى حوادث المحرم من سنة ٨٨٩ هـ : « وفيه توفى الشيخ ولى الدين أحمد شيخ الآثار النبوية وقاضى ثغر دمياط وكان ديناً خيراً حسن السيرة لا بأس به » اهـ . وهى عبارة مبهمّة قد يفهم منها أنها آثار نبوية أخرى بدمياط كانت فى نظر قاضئها ، وقد تبين لنا بعد بحث طويل استوعبنا فيه تراجم الأحمدين بالضوء اللامع للسخاوى أن المراد الآثار المعروفة التى بالقاهرة ، وأن الشيخ ولى الدين المذكور كان شيخاً عليها ثم تقل قاضياً لدمياط وتوفى بها . وملخص ما جاء عنه فى هذا الكتاب أنه الشيخ ولى الدين أبو زُرعة أحمد بن محمد بن عمر بن محمد بن إبراهيم البارنبارى الشافعى سبط داود بن عثمان السبتي ، ولد بمصر سنة ٨٢٨ ، واشتغل على البهاء بن القطان والشهاب بن مبارك شاه والبرهان المتبولى

(١) سيأتى الكلام على الشعرات النبوية الشريفة فى فصل خاص .

وغيرهم . وكتب الإملاء عن الحافظ بن حجر ، وسمع الحديث على جماعة منهم عمه النور علىّ والبدر النسابة وهاجر القدسية ، وناب في القضاء عن المناوى ، واستقرّ به العز الكنانى سنة ٨٧٠ شيخاً على الآثار . ثم استقرّ به الزين زكريا في قضاء دميّاط بعد الصلاح بن كميل ، ومُحَمَّد في ذلك كله لعقله ومداراته وخبرته وسياسته مع فضيلة وتواضع ، وكتب على مختصر أبى شجاع مطولاً ومختصراً ، وشرع في شرح علىّ المنهاج ، ومات وهو بدميّاط ليلة الثلاثاء ثالث عشر المحرم سنة ٨٨٩ ، ودفن بتربة تجاه فتح الأسمر . اهـ . قلنا : وقول السخاوى فتح الأسمر جرى فيه على المشهور عند العامة ، والصواب أنه العارف بالله فاتح بن عثمان الأسمر التكرورى القادم من مراکش إلى دميّاط ، والمتوفى بها سنة ٦٩٥ ترجمه المقرئى في خطّطه في كلامه على دميّاط ترجمة حافلة بيّن فيها وهم العامة في اسمه وذكر له مناقب جليّة في الزهد والورع وسلوك طريق السلف من التمسك بالكتاب والسنة ، رحمه الله تعالى ورضى عنه .

آثار القدم الشريفة على الأحجار

قلنا في كلامنا على رباط الآثار المسمى بعد ذلك بجامع أثر النبي إن به حجرًا تزعم العامة أن عليه أثر القدم النبوية الشريفة وليس بصحيح ، ووعدنا بمعالجة البحث فيه وفيما يماثله من الأحجار في هذه التتمة فنقول : المعروف الآن من هذه الأحجار سبعة : أربعة منها بمصر ، وواحد بقبة الصخرة ببית المقدس ، وواحد بالقسطنطينية ، وواحد بالطائف ، وهي حجارة سوداء إلى الزرقة في الغالب عليها آثار أقدام متباينة في الصورة والقدر لا يشبه الواحد منها الآخر . وقد ألفت العلامة أحمد ابن محمد الوفاي الشافعي المعروف بابن العجمي المتوفى سنة ١٠٨٦ رسالة سماها : « تنزيه المصطفى المختار عما لم يثبت من الأخبار » بين فيها عدم صحة هذه الأحجار ، وأن لاسند لما ورد فيها . ونقل عن الإمام ابن تيمية أنها من اختراع الجهال وأن ما يروى من حديث تأثير قدمه صلى الله عليه وسلم في الصخر إذا وطئ عليه من الكذب المخلوق . وفي ج ١ ص ٢٦٠ من مجلة « الهداية الإسلامية » نبذة في ذلك لأستاذنا العلامة مديرها لخصها من هذه الرسالة فلتراجع . وسنورد في آخر هذه التتمة خلاصة نذكر فيها من تكلم على هذه الأحجار من العلماء الأعلام نفيًا وإثباتًا بعد أن نستوفي البحث فيها من الوجهة التاريخية مبتدئين بما بمصر منها على ما يأتي :

الأول : مهر أثر النبي وهو حجر ضارب إلى الحمرة عليه أثر قدمين ، محفوظ في حجرة صغيرة مطلة على النيل وملاصقة للحائط الغربى لمسجد أثر النبي . وعلى هذه الحجرة قبة وفي حائطها الجنوبي محرابان : أحدهما لاشيء به ، والذي في غريبه به صُفَّة ألصق الحجر عليها وجعل على وجه هذا المحراب رخام منقوش كتب فيه بالنقر سطران بالتركية يفيدان أن إبراهيم باشا مد الله في عمره جدد هذا المقام على رسم القدم . وقد تقدم في كلامنا على رباط الآثار أن إبراهيم باشا الدفتردار المتولى على مصر سنة ١٠٧١ جدد ووسمه وبني تحته رصيفا وأرصد له أرضاً وعين به القراء والحراس ، ثم نقلنا عن الجبرتى خبر تجديد آخر فيه قام به الخواجة^(١) محمود حسن بزرگان باشا سنة ١٢٢٤ ونقلنا إنه البناء الباقي إلى اليوم على الراجح والذي يظهر أن التجديد الأخير لم يشمل قبة الأثر بدليل هذه الكتابة الباقية على المحراب ، إلا أن تكون هذه الرخامة أعيدت إلى مكانها بعد التجديد إبقاء لاسم إبراهيم باشا . وتاريخ وضع هذا الحجر بهذا المكان مجهول ، فلا يغترن الناظر في الخطط الجديدة

(١) الخواجة وقد رسمه بعضهم بألف في آخر بدل التاء لفظ فارسى دخل في التركية ويرسم في اللغتين يهاء في آخره غير منطوقة وهو لقب تكريم عندهم يرادف الأغا والأفندى والسيد وما فى معناها ، ويطلق أيضاً على الأساتذة المعلمين ولا سيما المشايخ العممين منهم وقد يحرف في هذا المعنى فيقال فيه خوجه يحذف الألف التى بعد الواو . وفى الفوائد البهية فى تراجم الحنفية أن النقيبندية يطلقون الخواجة على مشايخهم للتكريم . ورأينا فى بعض التواريخ تلقيب الوزراء به ثم لقب به كبار التجار واستعمل فى ذلك إلى عصر الجبرتى ولما كثر نزوح الأفرنج إلى مصر فى أوائل هذا العصر وكان أغلب الوافدين منهم فى أول الأمر تجاراً كرموهم بهذا اللقب ثم توسعوا فيه فأطلقوه على كل أفرنجى ثم قيل أيضاً للوجه من غير المسلمين وإن لم يكن أفرنجياً . وقد فصلنا الكلام عليه فى معجم العامة المصرية

التوفيقية لعلى مبارك باشا ، بما جاء عنه فى كلامه عن قرية (أثر النبى) وزعمه أن الظاهر يبىرس هو البانى للمسجد وللقبة على هذا الأثر ، فقد بينا وهمه هذا فيما تقدم ، وأن المسجد من بناء الصاحب تاج الدين ابن حنا ، وكان يعرف برباط الآثار ، ثم تغيرت معاملته مع الزمن بما حدث فيه من التجديد ، كما تغير اسمه بجامع أثر النبى . والراجع فى هذا الحبر ، أنه لم يوضع بهذا المسجد إلا فى القرون الأخيرة ، إذ لو كان من زمن ابن حنا أو ما قرب منه ، ما أغفل ذكره مؤرخو تلك العصور ، كما لم يغفلوا ذكر ما كان هنا من الآثار . ولم نجد له ذكرًا فيما اطلعنا عليه من الرّحل إلا فى « الحقيقة والمجاز ، فى رحلة الشام ومصر والحجاز » للعلامة عبد الغنى النابلسى ، وهى فى وصف رحلته إلى هذه البقاع الثلاث فى أوائل القرن الثانى عشر ، وقد زاره باعتقاد وحسن نية ، كما فعل بحجر قايتباى ، وكانت زيارته له بعد زيارته لمقياس النيل بالروضة ، فقال عنه ما نصه : « ثم قمنا من ذلك المكان ، وركبنا وسرنا مع الجماعة بالسرور والأمان ، إلى أن وصلنا إلى المسجد الذى فيه قدم النبى صلى الله عليه وسلم ، فدخلنا إليه وصلينا صلاة الظهر بالجماعة ، ورأينا ذلك المسجد فدخلنا إلى قبة لطيفة ، وبها البهجة والجلال والهيبة مطيفة ، وهناك أثر قدم النبى صلى الله عليه وسلم فى حجر شريف ، مرتفع فى طاق عال منيف ، فى الحائط القبلى وعليه الماورد^(١) والستر المسبول ، وأنواع القبول ، وقد عقدت على ذلك المكان قبة سامية البناء ، جالبة الهناء ، فتبركنا به وحصل لنا

كمال الصفاء ، وغاية الشوق والوفاء » . ثم أنشد فيه لنفسه :
طه الرسول به الفؤاد مولع أكرم بمشاه المؤثر في الحجر
إن فات عيني أن تراه فإنها قنعت هناك بما تراه من الأثر
وأنشد فيه أيضاً قوله :

قدم النبي بمصر جئنا نحوه متبركين بنوره الفياض
تعلو عليه من الجلالة قبة أنوارها كالبرق في الإيماض
وعليه أسرار المهابة والبهامة يهدى القلوب لذكر عهد ماض
حصلت به كل السعادة والمنى للزائرين وسائر الأغراض
أثره شريف قد بدا في صخرة من مسها يشفى من الأمراض
انتهى . وبقي هذا المسجد معروفاً بمسجد الآثار بعد نقل الآثار النبوية منه
إلى قبة الغورى في أوائل القرن العاشر ، ثم عرف بجامع أثر النبي ، وهى
تسمية لم نرها فى التاريخ قبل القرن الحادى عشر . والغالب أنه سُمى
بذلك بعد وضع هذا الحجر فيه ، وقد أطلق هذا الاسم أيضاً على القرية
الملاصقة له ، ثم على الشارع الموصل إليه من مصر القديمة الذى أحدث
فى هذا العصر ممتداً على شاطئ النيل .

الثانى : ميجر قايتباى : وهو حجر أسود به أثر قدمين موضوع بجوار
قبر السلطان الملك الأشرف أبى النصر قايتباى المحمودى المتوفى فى
١٧ ذى القعدة سنة ٩٠١ هـ ، وكان أعد هذا القبر لنفسه فى حجرة واسعة
ذات قبة شاهقة ملاصقة لمسجده الذى بناه بالصحرَاء المعروفة الآن بقرافة

المجاورين^(١). ويرى الزائر في ركن من هذه الحجرة قبر ولده السلطان الملك الناصر أبي السعادات محمد، المتولى بعده على المملكة المصرية، والمتوفى مقتولاً في ١٥ ربيع الأول سنة ٩٠٤ هـ، ويجواره حجر آخر أسود عليه أثر واحد يزعمون أنه أثر قدم الخليل عليه السلام. والشائع فيهما عند السدنة وسكان تلك الجهة أن السلطان استجلبهما من الحجاز ليوضعا بعد موته بجوار قبره تبركاً بهما، وهو شيء لم نره مسطوراً في تاريخ^(٢)، وإنما يذكره بعض أصحاب الرحلات على ما سمعوه من الأفواه، وذكره أيضاً العلامة شهاب الدين الخفاجي في نسيم الرياض شرح شفا القاضي عياض بما نصه: « قيل إن السلطان قايتباي اشتراه بعشرين ألف دينار وأوصى يجعله عند قبره وهو موجود إلى الآن ». قلنا: وإذا لم يصح شراء السلطان لهذين الحجرين أو أحدهما، فلا يبعد أن يكونا من الأحجار التي قيل إنها أحضرت من خيبر لشمس الدين ابن الزمن التاجر الشهير وجعلها بمدرسته التي كان شرع في إنشائها بشاطيء بولاق، وكان يقيم أحياناً بمكة للإشراف على أبنية الأشرف قايتباي بها ثم توفي بها سنة ٨٩٧، فيحتمل أنه أحضرها معه من الحجاز، ثم اختار السلطان منها هذين الحجرين

(١) هي المقبرة الشمالية الواقعة شرقي مساكن القاهرة وكان حدوثها في القرن الثامن وسميت بذلك لأنها أقرب القابر للأزهر وبها مدافن مجاوريه أى طلبته وفيها بقعة يكثر دفن علمائه بها تعرف ببستان العلماء. ولما توفي الشيخ المعتقد عبد الوهاب العفيفي المدرس بالأزهر سنة ١١٧٢ ودفن في مقبرة المجاورين سميت أيضاً بقرافة العفيفي.

(٢) قال العلامة أحمد بن العجمي في تنزيه المصطفى المختار « لو كان للحجر الذي قيل إن قايتباي اشتراه مجرد شائبة شهرة أيضاً لذكره الجلال السيوطي في ترجمته وعده في مناقبه فإنه كان في زمانه وأثنى عليه ».

فنقلهما بعد موته من مدرسته ، والله أعلم . وسيأتى الكلام على هذه المدرسة وما كان بها من الآثار فى هذا الفصل وفى فصل الشعرات الشريفة .

وقد زار المقرئ وأبو سالم العياشى هذا الأثر فى القرن الحادى عشر وأبو العباس أحمد بن محمد بن ناصر الدرعى فى أوائل القرن الثانى عشر ، وأبو العباس أحمد الفاسى فى أوائل الثالث عشر ، فذكروا عدم ثبوت صحته ، وأنه مزار بمُحسن النية فقط . وزاره فى أوائل القرن الثانى عشر الشيخ عبد الغنى النابلسى ، ولكنه لم يعتمد فيه إلا على ما سمعه من الأفواه ، وقد ذكره مرتين فى رحلته « الحقيقة والحجاز » إحداها بإسهاب فى زيارته الأولى له ، والثانية باختصار فى زيارته الثانية عند خروجه من القاهرة للحج ، فقال فى الأولى : « ثم سرنا إلى أن وصلنا إلى جامع السلطان قايتباى ، وهو مكان معمور ، وبأنواع الخير مغمور ، فدخلنا إليه وزرنا قبر السلطان ، وعليه قبة عظيمة ، ذات جدران محكمة جسيمة ، فوقفنا وقرأنا الفاتحة ، ودعونا الله تعالى ، وعند رأس القبر قدم النبى صلى الله عليه وسلم فى صخرة موضوعة على كرسى ، وعلى تلك الصخرة قبة لطيفة من خالص الفضة مطلية بالذهب والكتابة بالذهب حولها بالخط الحسن ، وللقبة باب ، ففتح لنا وزرنا القدم الشريفة ، وقبلناها وتبركنا بها ، وعند الجدار الشمالى قبر زوجة^(١) السلطان قايتباى ، وعلى قبرها قدم الخليل إبراهيم

(١) لم يذكر أحد من المؤرخين فيما نعلم أن زوجته دفنت معه بالقبة ، والمذكور أن الذى دفن معه ولده السلطان الملك الناصر أبو السعادات محمد . وإنما بجوار حجرة القبة حجرة سفلى بها بعض قبور شاع بين الناس أن زوجة السلطان مدفونة فى أحدها ، والذى يؤخذ من تاريخ ابن إياس أن المدفون بهذه الحجرة جاتم وأخوه جاني بك ابنا عم الناصر محمد ابن قايتباى وأزبك الخاصكى ، والثلاثة ممن قتل مع الناصر المذكور .

عليه الصلاة والسلام أيضاً في صخرة ، وعلى تلك الصخرة قبة من خشب
فزرناها وتبركنا بها وقرأنا الفاتحة ودعونا الله تعالى . وذكروا لنا أن
السلطان سليماً من بنى عثمان عليه الرحمة والرضوان لما دخل مصر المحروسة
زار القدم المذكورة قدم النبي صلى الله عليه وسلم وتبرك بها^(١) .
ثم بعد رجوعه إلى بلاد الروم ، أرسل جماعة من الناس إلى مصر ، وأخذ
القدم النبوية المحمدية فحملت الصخرة إليه لأجل التبرك وحصول الخير بها
في البلاد الرومية ، فلما وصل ذلك إلى بلاد الروم سلطان بنى عثمان ، رأى
في منامه السلطان قايتباي ، وأمره أن يرد القدم إلى مكانها ، وقال له :
أنا أخذتها بإذن النبي صلى الله عليه وسلم من المدينة . فلما أفاق من منامه
أرسلها إلى مكانها وأرسل معها أربعة أعلام مكتوبة بالذهب ، وهى إلى الآن
موجودة في ذلك المكان . اهـ قلنا : الذى نسبه إلى السلطان سليم لم يقله
أحد من المؤرخين ، وإنما نقله كما ذكره له ، وهو من أروهام السدنة
وخلطهم في المسائل التاريخية . والمعروف أن الذى نقل هذا الحجر إلى
القسطنطينية هو السلطان أحمد بن محمد المعروف عند العثمانيين بأحمد الأول
المتولى سنة ١٠١٢ والمتوفى سنة ١٠٢٦ . وهو الذى جعل عليه القبة الفضة
على ما ذكره العلامة أحمد المقرئ في فتح المتعال في مدح النعال ، فقد
سرد في خاتمة هذا الكتاب مسائل تعرض في إحداها لهذا الحجر ،
وأورد أبياتاً سقيمة كثيرة الضرورات رآها مكتوبة على الفضة التى جعلها

(١) لا يعرف أنه زار القدم أو دخل هذا المسجد وغاية ما ذكره ابن إياس عنه أنه
لما خرج من القاهرة يوم الخميس ٢٣ شعبان سنة ٩٢٣ عائداً إلى بلاده سار بين التراب
إلى بركة الحاج فلما مر بترية الأشرف قايتباي وقف هناك وقرأ الفاتحة وأهداها إليه .

هذا السلطان على الحجر ، وهذا نص ما قال : « ومنها أن كثيراً من مادحيه صلى الله عليه وسلم صرحوا بأنه كان إذا مشى على الصخر غاصت قدماه فيه وإذا مشى على الرمل لا يؤثر فيه ^(١) حتى إنه اشتهر عند الناس قصد بعض الحجارة التي فيها شبه أثر القدم النبوية فيما يقال للتبرك بها ، خصوصاً ما وضع منها في المواضع المقصودة للزيارة . وقد رأيت بمصر المحروسة بتربة السلطان المرحوم أبي النصر قايتباي المحمودى رحمه الله بالصحراء حجراً فيه أثر قدم يقال إنه أثر القدم النبوية ، والناس يزورونه وقد رأوا له بركات . وقد كان الخنكار ^(٢) المرحوم سلطان الرؤم خادم الحرمين الشريفين مولانا السلطان أحمد ابن مولانا السلطان محمد ابن مولانا السلطان مراد بن عثمان ^(٣) رحم الله سلفه ونصر خلفه نقله من هذا المحل إلى حضرته العلية القسطنطينية ، ثم أمر برده إلى محله وجعل عليه فضة بصنعة

(١) من ذلك قول بعضهم :

وعليك ظلمت الغامة في الورى والجندع حن إلى كريم لقاكا
وكذلك لا أثر لمشيك في الثرى والصخر قد غاصت به قدماكا
وقول الإمام البوصيرى في الحمزية :

أو بلثم التراب من قدم لا نت حياء من مسها الصفواء :
ويروى (من مشيا) قال العلامة ابن حجر الميشتى في شرحه لهذا البيت : هذا الذى ذكره الناظم ذكره من تكلم على الخصائص لكن بلا سند .

(٢) الخنكار بضم فسكون معناه في التركية السلطان ، وهو تحريف أو اختصار للفظ خدا وندكار بمعنى السلطان في الفارسية .

(٣) قوله ابن عثمان هي نسبة إلى جدهم الأعلى لأن السلطان مرادا المذكور هو ابن سليم بن سليمان بن سليم إلى أن ينتهى النسب إلى عثمان ، وكثيراً ما يعبر المؤرخون عن كل سلطان منهم بابن عثمان .

ملوكية وعليها مكتوب مما قرأته ما مثاله ولم يعلم قائله :

تشوَّق حضرة السلطان أحمد	زيارة موطىء القدم المكرم
فخره بجاذبة اشتياق	على إقدام أقدام فقهم
وسيره إلى القسطنطينية ^(١)	فقال له تقدّم خير مقدم
وأدخل داره باليمن حباً	وتعظيماً لصاحبه المعظم
حبيب الله سيدنا محمد	عليه ربنا صلى وسلم
وأرجعه ^(٢) بإعزاز عظيم	إلى تلقاء موضعه المقدم
إلهى عمر السلطان أحمد	وقدّمه على من تقدم
بحرمة صاحب القدم المعلّى	إلى الدرجات فى الأفلاك سلم

وتشرّف بزيارته سنة ١٠٢٤ هـ ، ما ألفيته بحروفه . والذى ذكره من نقل السلطان أحمد للحجر غير مستبعد ، فقد ذكرت التواريخ التركية أنه كان كثير التعظيم للآثار النبوية ، حتى إنه نقش مثال القدم النبوية على صُروغ عمامته ونقش معه يبتين بالتركية من نظمه ، والصرغوج حلية كانت توضع على القلنسوة أو العمامة ولم نزل هذه القبة إلى اليوم على هذا الحجر ، وهى قبة صغيرة قائمة على قاعدة مربعة مرفوعة على أربعة أعمدة والأبيات المذكورة منقوشة بالحفر فى جوانب القاعدة ، ولم تيسر لنا قراءتها إلا بعناء بعد جلاء موضعها ومسحه ، وكانت تظهر لنا فى بعض

(١) قوله (وسيره) هو المنقوش على القبة كما رأينا والذى فى نسخ فتح المتعال التى اطلعنا عليها (وصيره) بالصاد . وقوله القسطنطينية هو بحذف الياء التى بعد الطاء الثانية لضرورة الوزن .

(٢) هو المنقوش على القبة والذى فى نسخ فتح المتعال (وراجعه) وهو تحريف .

المواضع عند مسحها آثار الطلاء بالذهب ، وقد اكمدَّ لون القبة وتغير حتى
يخيل لرائيها أنها من نحاس .

وأما الحجر الآخر الذى قيل إن به أثر الخليل فعليه شبه قبة من خشب
مستطيلة دقيقة الأعلى واسعة الأسفل كالقمع ساذجة لا أثر للصناعة فيها .
ولما زار أبو العباس أحمد الفاسى فى رحلته إلى الحج سنة ١٢١١
مسجد السلطان قايتباى ، ووصف الحجرين بقوله : « وتبركت بحجرين
هنالك شاع على السنة العوامَّ أنهما أثَّـرَ فيهما قدما النبى صلى الله عليه وسلم ،
أحدهما بلبصق قبر السلطان المذكور فيه أثر قدمين ، والآخر مقابل له
يمنة الداخل من الباب فيه أثر آخر ، وعليهما بناء وهما مرفوعان من الأرض
على بناء ، وإن لم يصح ذلك فقد نسبنا إلى النبى صلى الله عليه وسلم فى الجملة
والله يعاملنا بنياتنا » . ثم نقل عبارة أبى سالم العياشى عنهما فى رحلته ،
ونصها ^(١) : « عند رأس القبر حجر مبنى عليه بناء حسن فيه أثر قدمين
شاع عند الناس أنهما قدما النبى صلى الله عليه وسلم ، وهناك حجر آخر
فيه أثر قدم أخرى يقال إنها قدم الخليل ، والناس يزورونها ويذكرون
أنهما من الذخائر التى ظفر بها السلطان قايتباى أيام سلطنته ، فجعلت عند
قبره رجاء بركتها ولا يبعد ذلك ، فقد كان ملكا عظيما عدلاً موقراً مهيباً
محبباً إلى الخلق ، ذا سيرة حسنة فى الرعية ، واجتهاد فى عبادة ربه ، إلا أننا
لم نر من نص على أنه ظفر بشيء من هذه الآثار من المؤرخين ، بل ذكر
جماعة من حفاظ المحدثين أن ما استفاض واشتهر خصوصاً على السنة
الشعراء والمداح من أن رجل النبى صلى الله عليه وسلم غاصت فى الحجر

(١) نقلها عنه أيضاً أبو العباس أحمد بن محمد بن ناصر الدرعى فى رحلته إلى الحجاز

لا أضل له ، ولم يذكر أحد أن أثر الخليل عليه السلام موجود في غير حجر المقام . قلت : وبالمدينة المشرفة ومكة والقدس آثار يقال إنها آثار بعض أعضاء النبي صلى الله عليه وسلم من قدم ومرفق وأصابع والله أعلم بصحة ذلك ولكن لم يزل الناس منذ أعصار يتبركون بها من العلماء والصالحين ، ويقتنى الآخر منهم الأول ، فلأجل ذلك لما دخلنا إلى مزار السلطان المذكور صبّ القيم على الأثرين شيئاً من ماء الورد ، فغمسنا فيه أيدينا ومسحنا بها أوجهن ورءوسنا وأبداننا رجاء البركة بحسن النية وجميل الاعتقاد » إلى آخر ما ذكره . وقال أبو العباس الفاسي عقب نقله لكلامه : « وما زال يبعد كل البعد عند علماء القاهرة ثبوت الأثر المذكور ، فقد تكلمت مع شيخنا الشيخ داود القلمى في ذلك فلم يسمعنى بالكلام فيه » . اهـ . قلنا : وآثار القدم والمرفق التي أشار إليها أبو سالم العياشى رأيناها مذكورة في سؤال رفع إلى الإمام السيوطى ، فأجاب بأنه لم يقف في ذلك على أصل ولا سند ولا رأى من خرّجه في شيء من كتب الحديث . اهـ . والذي يرويه الناس في المرفق أنه صلى الله عليه وسلم لما جاء إلى دار أبي بكر الصديق رضى الله عنه بمكة ووقف ينتظره ألصق منكبه ومرفقه بالحائط فغاص المرفق بالحائط في الحجر وأثر فيه وبه سمى الزقاق زقاق المرفق . اهـ . ملخصاً من فتح المتعال للمقرئ . وذكره أيضاً قطب الدين الحنفى في الإعلام بأعلام بيت الله الحرام في الخاتمة التي خصها بالأماكن المجاب فيها الدعاء بمكة فقال : إنه صفحة حجر مبنى في جدار في وسطه حفرة مثل محل المرفق يزوره العوام ويزعمون أن النبي صلى الله عليه وسلم اتكأ عليه فغاص مرفقه الشريف فيه ، ثم قال : « وما رأيت في كلام أحد من المؤرخين

من حقق شيئاً من ذلك ، والله أعلم بحقيقته »^(١) . ورأينا أيضاً موضعين من هذه الخاتمة أن بالجبل المقابل لثبير الذى بلحفه مسجد الخيف غاراً يقال له غار المرسلات لنزول سورة « والمرسلات » به ، تزعم العامة أن سقفه لأن لرأس النبي صلى الله عليه وسلم فآثر به تجويفاً بقدر دورة الرأس فيضع الناس رؤوسهم فى هذا الموضع تبركاً ، ثم ذكر أنه لم يقف على خبر يعتمد فى ذلك . قلنا : ذكره التقي الفاسى فى شفاء الغرام والجلال السيوطى فى الخصائص الكبرى عن أبى نُعَيْمٍ ولكن بلا سند ، وقد بقى هذان الحبران مقصودين بالزيارة إلى زماننا هذا ، وذكرهما العلامة إسماعيل الحامدى المالكي أحد علماء الأزهر المتوفى سنة ١٣١٦ فى الرحلة الحامدية إلى الأقطار الحجازية وهى فى حجه سنة ١٢٩٧ هـ ، فقال إنه زارهما وإن حجر المرفق كان قريباً من الصاغة ، وذكر حجراً آخر زاره فى الطريق التى بين مكة والتنعيم ، قيل إن النبي صلى الله عليه وسلم أسند ظهره إليه فلان وغاص^(٢) فيه ، وذكر حجراً آخر قيل إن عليه أثر كفه صلى الله عليه وسلم بمسجد الغمامة بجهة بدر ، وحجراً بالمدينة فى مكان أسفل جبل

(١) وذكره الأسمى بعبارة مختصرة فى إخبار الكرام بأخبار المسجد الحرام ، وذكر كذلك الأثر الذى بغار المرسلات .

(١) لعله الذى سماه التقي الفاسى بالمتكى فى شفاء الغرام . بأخبار البلد الحرام إن لم يكن مراده بالمتكى أثر المرفق أو شيئاً آخر غيرها وقد ذكر أنهما اثنان أحدهما بقرب باب الحرم المعروف بباب العمرة والثانى فى طريق التنعيم المعتادة ، وقال لعلهما سميّاً بذلك للراحة بالاتكاء عندهما من تعب السير إلى العمرة ولم يذكر أنهما نبيان وذكر متكاً آخر منسوباً إليه صلى الله عليه وسلم بأجساد الصغير وهو دكة مرتفعة ملاصقة للدار شيخ الحجة ومتكاً رابعاً بجهة أخرى من أجساد الصغير ذكره الأزرقى وقال فيه : سمعت جدى أحمد بن محمد ويوسف بن محمد بن إبراهيم يسألان عن المتكى وهل صح عندهما أن النبي صلى الله عليه وسلم اتكأ فيه فأريتهما ينكران ذلك ويقولان لم نسمع به من ثبت .

أُحْد عليه أثر نبوى . والراجح أنها قُلعت جميعها من أماكنها ومحيت آثارها بعد استيلاء الملك عبد العزيز بن سعود ملك نجد على الحجاز سنة ١٣٤٤ . ومن حجارة الآثار حجر قيل إن عليه أثراً نبوياً في قرية شهار بالطائف يسمونه بأثر الغزالة النبوية ، ذكره الفاكهي في تاريخه للطائف ، ونقله عنه الشيخ محمد عبد الكريم من علماء القرن الثاني عشر في رسالة له في فضائل الخبر ابن عباس والطائف ، ثم قال : « ولم أقف على ما يشهد لذلك في كتب الآثار ولا في أجزاء لطيفة صنفت في آثار الطائف للمتأخرين ولا على ما ينفيه » . اهـ . وقد دعانا التعرض لأثر المرفق إلى الاستطراد لذكر هذه الأحجار إتماماً للفائدة بيانها وبيان أن لا مستند فيها إلا على ما هو شائع بين الناس ، والله أعلم .

الثالث : مَجَرِ المقام المسمى : وهو في ركن من أركان القبة المقامة على

ضريح السيد أحمد البدوى رضى الله عنه بطندتا المعروفة الآن عند العامة بطنطا ، ولم أقف فيه إلا على ما ذكره الشيخ عبد الصمد في الجواهر السنية في النسبة والكرامات الأحمدية من أنه حجر أسود مثبت في ركن القبة تجاه وجه الداخل من الجهة اليمنى ، وفيه موضع غوص قدمين شاع بين الناس وذاع واستفاض وملاً البقاع والأسماع أنه أثر قدمى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكل من زار الأستاذ يتبرك به . اهـ . ولم يتعرض لذكر واضعه وتاريخ وضعه بهذا المكان .

الرابع : مَجَرِ البرنبل : وهى قرية شرقي النيل من قسم إطفيح^(١) بولاية

(١) البرنبل كحزنبلى أى فتحتين فسكون ففتح . وإطفيح كإزميل أى بكسر الأول وهو اسم قرية مشهورة على ما في شرح القاموس للزبيدي

الجيزة وفي شرقيها على قارة بسفح الجبل مقام لسيدى أُويس القرنى ،
والصحيح أنه غير مدفون بمصر . وفي شرقى هذا المقام حجر صلب فى
الجبل به أثر قدم تزعم العامة أنه قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
ويزوره سياح الإفرنج كثيراً .

الخامس : معجزة الصخرة : بييت المقدس وهو قديم ذكره الإمام
ابن تيمية وأنكر صحته ، وقال عنه العليمى فى « الأنس الجليل ، فى تاريخ
القدس والخليل » : « القدم الشريفة فى حجر منفصل عن الصخرة محاذ لها
آخر جهة الغرب من جهة القبلة وهو على عمد رخام » . ومثله فى « باعث
النفوس ، لزيارة القدس المحروس » لبرهان الدين إبراهيم ابن قاضى الصلت
و « إتحاف الأخصا ، بفضائل المسجد الأقصى » لشمس الدين محمد المنهاجى
السيوطى ، وذكره أيضاً جمال الدين عبد الله بن هشام الأنصارى فى
« تحصيل الأنس ، لزائر القدس »^(١) بما لا يخرج عن ذلك . وزاره العلامة
المقرئ وقال عنه فى « فتح المتعال » : « وقد رأيت حجراً فيه أثر قدم
بقبة الصخرة الشريفة بالبيت المقدس ، والناس يعظمونه ويتبركون به » .
وقد زاره العلامة عبد الغنى النابلسى وأشار إليه فى رحلته « الحقيقة والمجاز »
محيل على ما ذكره عنه فى « الحضرة الأنسية ، فى الرحلة القدسية » . وقد
نقل فى الحضرة الأنسية ما قدمنا نقله فى وصفه ، ثم قال : « وجعلوا على
هذا المكان من الفضة على شكل الخزانة له قبة صغيرة وباب بمصرعين

(١) منه نسخة حسنة الخط كتبت سنة ٩٠١ بالحزاة البلدية بالاسكندرية مجلدة مع
فضائل الشام لابن رجب الحنبلى ورقمها (١٣٥١ - د)

كل ذلك مصنوع من الفضة على شكل الخزانة ، ثم خافوا على ذلك من السارق فجعلوا على ذلك شبكة من النحاس الأصفر لها باب بمصراعين أيضاً يفتح للزائرین ، ففتحوه لنا والتمسنا من أثر تلك القدم البركة ، وقد وضعوا فيه ماء الورد ، فوفنا ودعونا الله تعالى بما تيسر من الدعاء ، وأخذنا منه ووضعنا على وجوهنا ، ودفعنا للخادم ما تيسر من الدراهم كما هو عادتهم ، وقلنا في ذلك من النظام على حسب ما اقتضاه المقام :

قام في الصخرة طه المصطفى	ليلة المعراج والرسول خدّم
وبدا التأثير من أقدامه	عبرة لما بها الصخر اصطدم
وعجيب كيف في صلد الصفا	يظهر التأثير من لحم ودم
إنه معجزة لا عجب	وهو للشك والريب هدم
فأنتى ثم ترى أقدامه	فتبركت بأثار القدم ^(١)

السادس : معجزة القسطنطينية : وهو — على ما في التواريخ التركية — من الآثار التي أخذها السلطان سليم من الشريف بركات أمير مكة بعد فتح مصر ونقلها معه إلى القسطنطينية ، وهي محفوظة اليوم بقصر (طوبقوبو) ، وتسمى عندهم بالأمانات المباركة .

السابع : معجزة الطائف : جاء في اللطائف من قطر الطائف لابن عراق أن من المواقف النبوية بالطائف موقفاً يجبل أبي زيدة ، وآخر عند وج

(١) اعتمدنا في نقل ذلك على نسخة مخطوطة من هذه الرحلة أوفى بكثير من المطبوعة

وصخرة عليها أثر موقفه الشريف في مسجد العدّاس بجبل أبي الأخيلة .
وقد تكلم العلامة جار الله محمد بن فهد على هذه المواقف في تحفة الطائف
في فضائل الخبر ابن عباس ووج والطائف ، إلا أن النسخة التي عندنا وقع
بها سقط في هذا الموضع اختلت بسببه العبارة . وفي « إهداء الطائف
من أخبار الطائف » للعجيمي ما نصه : « ومن المآثر موقف بجبل
أبي زبيدة في طريق الذهاب إلى وج من جبل يقال له قرين ثم في سفح
جبل يقال له أبو الأخيلة معبد العدّاس وهو في مسجد بالمشاة وأثر الموقف
ظاهر في صخرة في ركن المسجد المشهور بمسجد الموقف » . اهـ . قلنا :
وقد بلغنا أن بوجّ في الجهة المسماة بالمشاة مسجداً به حجر باق إلى اليوم
يزعمون أن عليه أثر مرفقه صلى الله عليه وسلم ، ولهذا يسمونه بمسجد
الكوع ، لأن العامة تطلق الكوع على المرفق وهو من أوهامها ،
والمظنون أنه المسمى قديماً بمسجد الموقف ، ثم سماه الناس في العصور
الأخيرة بمسجد الكوع لتوهمهم أن الذي به أثر المرفق الشريف لا القدم
لعدم وضوح الأثر وضوحاً كافياً فيما يظهر ، ولهذا عدّدناه من أحجار
الأقدام الباقية إلى اليوم وليحقق .

أحجار أضرى كانت بمصر : عليها أثر القدم الشريفة فيما زعموا ، أشار

إليها السخاوي في ترجمة شمس الدين محمد بن عمر بن محمد بن الزمن الشافعي
المتوفى سنة ٨٩٧ ، وذكر أنها أحضرت له من خير ، وأنها كانت مع
آثار أخرى في مدرسته التي شرع في إنشائها بشاطئ بولاق . قلنا :
ولا ندرى أين ذهبت ، ولعل منها بعض الأحجار المعروفة بمصر الآن ،
كالجبرين اللذين بتربة قايتباي كما قدمنا ، والله أعلم .

مهمراه آفراده بمكة والمدينة : ذكرهما العلامة المقرئ في فتح المتعال

فقال : « ورأيت بمكة المشرفة أيضاً في القبة التي وراء قبة زمزم أثر قدم في حجر يقولون إنه أثر قدم النبي صلى الله عليه وسلم . وأخبرني بعض الناس أن بالحجرة الشريفة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام حجراً كذلك ، ولم أراه حين دخلت للتبرك بإيقاد مصايحها ، ثم سألت عن ذلك الثقات العارفين ، فأجابوني : إن الحجرة ليس فيها شيء من ذلك ، وإنما هو في بعض أماكن المدينة المنورة على صاحبها الصلاة والسلام ، فذهبت إليه فألقيت موضعه مما لا يمكن دخوله في الوقت الذي ذهبت فيه ، وبعد هذا تكرر دخولي الحجرة الشريفة مراراً عديدة ، فلم أر فيها ذلك بيقين ، فعلمت أن الخبر لي وهم » . اهـ . قلنا : أما حجر المدينة فلا نعلم عنه شيئاً ، وأما حجر مكة فإن القبة التي كان بها هدمها الشريف عون الرقيق أمير مكة المتولى عليها سنة ١٢٢٩ هـ ، والمتوفى بها يوم الأربعاء ١٦ جمادى الأولى سنة ١٣٢٣ هـ . وبلغنا أن حجراً أثرياً كان بها ، وهبه الشريف لأحد الهنود بعد هدمها ، فلعله الحجر المذكور الذي رآه المقرئ .

آثار أقدم بعض الأنبياء : في بعض البلدان آثار أقدم على أحجار

منسوبة إلى بعض الأنبياء كأثر قدم آدم عليه السلام في جزيرة سرنديب المعروفة أيضاً بسيلان بالهند ، وأثر قدم الخليل عليه السلام بالحرم المكي ، وأثر قدم موسى عليه السلام بظاهر دمشق ، وأثر قدم عيسى عليه السلام بطور زيتا ببيت المقدس ، وأثر قدم إدريس عليه السلام ببيت المقدس ،

وأثر قدم أيوب عليه السلام بقرية قرب نوى بالبلاد الشامية . ولكون مقالنا هذا خاصاً بالآثار المحمدية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام اكتبنا بالإشارة إليها دون التعرض لتحقيقها وتفصيل الكلام عليها .

نفيه : كان في مصر مسجد بالقراءة الكبرى معروف بمسجد الأقدام يرد ذكره في كتب الخطط والتاريخ ، وقد يتوهم من يراه مذكوراً عرضاً في بعض العبارات أنه سمي بذلك لأحجار كانت فيه عليها آثار أقدام منسوبة للنبي صلى الله عليه وسلم أو لبعض الأنبياء عليهم السلام كالتي تقدمت وليس كذلك ، وإنما سمي بمسجد الأقدام لأن مروان ابن الحكم لما دخل مصر وصالح أهلها وبايعوه امتنع من بيعته ثمانون رجلاً من المعافر سوى غيرهم ، وقالوا : لا نكث بيعة ابن الزبير ، فأمر مروان بقطع أيديهم وأرجلهم وقتلهم على بئر المعافر في هذا الموضع فسمى المسجد بهم لأنه بنى على آثارهم والآثار الأقدام ، يقال جثت على قدم فلان أى أثره ، وقيل : بل أمرهم بالبراءة من على بن أبي طالب عليه السلام فلم يتبرءوا منه فقتلهم هناك ، وقيل سمي مسجد الأقدام لأن قبيلتين اختلفتا فيه ، كل تدعى أنه من خطتها ، فقيس ما بينه وبين كل قبيلة بالأقدام وجعل لأقربهما منه ، وقيل : إنما سمي مسجد الأقدام لأنه كان يتداوله العبادة وكانت حجارته كذاتاً فأثر فيها مواضع أقدامهم ، كذا في خطط المقرئى قلنا : وإنما أثرت أقدامهم فيه لأن الكذّان من الحجارة الرخوة . ولما شرع السلطان الملك المؤيد شيخ في بناء جامع داخل باب زويلة ، ونقل إليه العمدة وألواح الرخام من الدور والمساجد ، هدم هذا

المسجد لذلك . وفي تحفة الأحياب للسخاوي أنه كان من المساجد السبعة التي بالترافة المحاب عندها الدعاء ، وكان واسع الفناء عالى البناء مرتفعاً عن الأرض يصعد إليه من درج ، وكانت العامة تزعم أن به قبر آسية امرأة فرعون ، وتسمى الموضع بها وليس بثابت ، ولم يزل عامراً حتى أنشأ السلطان الملك المؤيد أبو النصر شيخ مدرسته داخل باب زويلة من القاهرة فحسبوا له خرابه ، وقالوا له : هذا فى وسط الخراب فصار كوماً من جملة الكيمان التى هناك .

آراء العلماء فى آثار القرم النبوية الشريفة :

من الذين أنكروا صحة ذلك وذكروا أن لا أصل ولا سند لما ورد فيه الإمام أحمد بن تيمية فى فتاواه ، ونقله عنه تلميذه الإمام ابن القيم ، والإمام السيوطى فى فتاواه . والعلامة ابن حجر الهيتمى فى فتاواه مؤيداً لتقوى السيوطى وفى شرحه للهمزية ، حيث ذكر أن من روى هذا الخبر من أصحاب الخصائص رَوَاهُ بلا سند . والحافظ محمد بن يوسف الشامى تلميذ السيوطى فى سيرته النبوية « سبل الهدى والرشاد » . وقال فى فتوى شيخه : وناهيك باطلاع الشيخ ، وقد راجعت الكتب التى ذكرها فى آخر الكتاب فلم أر ذلك ، فتىء لا يوجد فى كتب الحديث والتواريخ كيف أصبح نسبته لرسول الله صلى الله عليه وسلم اه . وقال المقرئ فى فتح المتل : ومن أنكروه الإمام برهان الدين الناجى الدمشقى وجزم بعدم وروده . اه . ومنهم الشمس العلقمى ، والعلامة عبد الرؤوف المناوى ، والعلامة محمد الشوبرى قدوة الشافعية فيما كتبه على المواهب اللدنية ،

والعلامة على الأجهورى المالكى فى شرح ديباجة مختصر المالكية على ما ذكره عنهم ابن العجمى فى تنزيه المصطفى المختار ، والعلامة محمد الزرقانى فيما كتبه على المواهب اللدنية ، والعلامة أحمد المقرئ فى فتح المتعال . ومن المتأخرين العلامة داود القلمى على ما حكاه عنه الفاسى فى رحلته . ومن أصحاب الرّحل أبوسالم العياشى وأبو العباس أحمد الدرعى وأبو العباس أحمد الفاسى ، غير أنهم قالوا بأنه وإن لم يصح فيزار بحسن النية لنسبته فى الجملة للمقام النبوى . والعلامة أحمد الشهير بابن العجمى فى رسالته تنزيه المصطفى المختار التى قدمنا ذكرها . وقطب الدين الحنفى فى « الإعلام بأعلام بيت الله الحرام » . غير أن كلامه خاص بأثر المرفق فذكر أنه لم ير فى كلام أحد من المؤرخين من حقق ما يقال عنه . والعلامة محمد الحنفى الكبير فى حاشيته على شرح ابن حجر الهيثمى على الهمزية فى قول الناظم :

أو بلثم التراب من قدم لا نت حياء من مسها الصفواء
وقول ابن حجر عنه : « هذا الذى ذكره الناظم ذكره غيره ممن تكلم على الخصائص لكن بلا سند » فإنه علق عليه بقوله : « قوله بلا سند فى فتاوى الشارح^(١) هل ورد أنه صلى الله عليه وسلم لأن له الصخر

(١) أى المعروفة بالفتاوى الحديثة لافتاواه الفقيه الكبير وقد حذف العلامة الحنفى من السؤال قول السائل : « وأنه لم يعط نبى معجزة إلا أعطى نبينا صلى الله عليه وسلم مثلها أو واحد من أمته » لأنه غير داخل فيما أنكره المسئول ، بل أجاب عنه بقوله : « والتحقيق أنه لم يعط نبى معجزة إلا أعطى نبينا محمد صلى الله عليه وسلم مثلها أو أعظم منها »

وأثرت قدماه فيه ؟ وأنه إذا مشى على التراب لا تؤثر قدمه الشريفة فيه ؟ وأنه لما صعد صخرة بيت المقدس ليلة المعراج اضطربت تحته ولانت فأمسكتها الملائكة ؟ وأن الأثر الموجود بها الآن أثر قدمه ؟ وأنه صلى الله عليه وسلم لما جاء إلى بيت أبي بكر بمكة ووقف ينتظره ألصق منكبه ومرفقه بالحائط فغاص المرفق في الحجر وأثر فيه وبه سمى الزقاق بمكة زقاق المرفق ؟ فأجاب بقوله : أجاب الحافظ السيوطي لما سئل عن ذلك كله فقال : لم أقف له على أصل ولا سند ولا رأي من خرّجه في كتب الحديث « ثم قال عقب نقله عبارة ابن حجر المذكورة : « وقد ذكر الأئمة أن الحافظ إذا قال مثل هذه العبارة بقوله لا أعرفه دل على عدم وروده » اهـ .

أما المنثور : فالإمام تقي الدين السبكي بقوله في تائيدته :

وأثر في الأحجار مشيك ثم لم يؤثر برمل أو يبطحاء مكة والعلامة القسطلاني في المواهب اللدنية ، غير أن شارحها العلامة الزرقاني ردّ عليه وناقشه فيما أورده . والعلامة شهاب الدين الخفاجي في نسيم الرياض شرح شفا القاضى عياض في خاتمة أوردها عقب شرحه لفصل المعجزات الواقعة في الجمادات من الباب الرابع الخاص بالمعجزات النبوية من القسم الأول . والعلامة عبد الغنى النابلسي في الحضرة الأنسية في الرحلة القدسية ، وقد أطال في محاولة إثبات هذه الآثار ، وقال في رده على من نفي من العلماء وجود سند لها بأن « الراجح إثبات ذلك ميلا إلى ما اتفق عليه عموم الناس واشتهر على السنة الخلف عن السلف وإن لم يكن لهم مستند في ذلك فقد يكون لهم مستند وخفى عنا » اهـ .

ومن ذهب إلى إثباتها من المتأخرين العلامة أحمد زيني دجلان في سيرته النبوية . قال العلامة ابن العجبي بعد أن لخص أقوال المثبتين من أهل عصره ومن قبلهم ما نصه : « وحاصل جميع ما تقدم الاعتراف بأن ذلك لا سند له وأنه على مجرد الشهرة ، وهو غير كاف في إثبات نسبتها إليه صلى الله عليه وسلم ، لأن الخصوصيات لا تثبت بالاحتمالات ، لأنها من الأمور السمعية المحضة التي لا مجال للعقل فيها بنفسه ، فما وجدنا فيه نصًّا نتحدّث به ونعتقد به ، وما لا نصّ فيه نكل علمه إلى الله تعالى وإلى رسوله صلى الله عليه وسلم ، ولا نتكلم به لعدم استقلال العقل فيه بنفسه دون نصّ » اهـ .

بقي أن الجلال السيوطي وإن أنكر ذلك في فتاواه فقد ذكره في باب ما اختص به صلى الله عليه وسلم عن أمته في أواخر خصائصه الصغرى نقلاً عن رزين العبدري ولكن بلا سند وسكت عنه كالمقرر له حتى نسبته بعضهم إلى الاضطراب والتردد ، وبعضهم إلى السهو والنسيان ، ولم يعرف أيّ الكنايين أسبق في التأليف حتى يعول على ما في الأخير منهما ويُعدّ رجوعاً منه عما في الأول . وقد حاول الشهاب الخفاجي في شرح الشفا التوفيق بين صنيعته بقوله : « قلت : لا سهو ولا نسيان فإن السيوطي رحمه الله تعالى لم ينكر هذه المعجزة ، وإنما أنكر ما يؤثر بعينه في الأماكن التي ذكروها » . قلنا : يصحّ ذلك لو أن السيوطي اقتصر في فتاواه على إنكاره التأثير في شيء بعينه ، ولكنه مع إنكاره ذلك في بعض أحجار معروفة أنكر أيضاً تلين الصخر وتأثير القدم

الشريفة فيه عَلَى العموم ، وهذا نصّ ما جاء في السؤال الذي أجاب عنه :
 « مسألة فيما هو جار عَلَى السنة العامة ، وفي المدائح النبوية ، أن النبيّ
 صلى الله عليه وسلم لَانَ له الصّخر وأثرت قدمه فيه ، وأنه كان إذا مشى
 على التراب لا تؤثر قدمه فيه ، هل له أصل في كتب الحديث أولاً ؟ وهل
 إذا ورد فيه شيء من خرّجه ؟ وصحيح هو أو ضعيف ؟ وهل ما ذكره
 الحافظ شمس الدين بن ناصر الدمشقي في معراجة الذي ألفه مسجماً ولفظه :
 « ثم توجهنا نحو صخرة بيت المقدس وعلاها ، فصعد من جهة الشرق
 أعلاها ، فاضطربت تحت قدم نبينا ولانت ، فأمسكتم الملائكة لما تحرّكت
 ومالت » أهذا أصل في كتب الحديث صحيح أو ضعيف أولاً ؟ إلى
 آخر ما ذكر من السّؤال عن أثر القدم الذي هناك ، وعن أثر المرفق بمكة
 وغير ذلك ، فأجاب عما ذكر بقوله : « لم أنف له على أصل ولا سند ،
 ولا رأيت من خرّجه في شيء من كتب الحديث » . اهـ . وذهب العلامة
 ابن العجمي في تنزيه المصطفى المختار ، إلى أن المعتمد ما ذكره في الفتاوى
 لأن العلماء يتحرون في فتاواهم أكثر مما يتحرون في المصنفات .
 وأما كتابه الخصائص فقد جمع فيه ما قيل إنه من الخصوصيات ولم يعتمد
 جميع ما فيه ، ولكل مقام مقال اهـ ملخصاً . قلنا : وفي قوله هذا نظر ،
 لأنه لو كان قصد في هذا الكتاب جمع ما قيل بلا اعتماد جميع ما فيه لنبه
 على ذلك في مقدمته أو خاتمته ، والمرجح عندنا أن عدم تعقبه ما نقله عن
 رزين بأنه لا أصل له ولا سند على ما قرره في فتاواه لم يكن إلا سهواً منه
 وجل من لا يسهو . والله أعلم .

وانختم هذا البحث بما ختم به هذا الفاضل رسالته « تنزيه المصطفى المختار » فقال : « لا يخفى على ذوى البصائر أن ما ذكر آنفاً جميعه من عدم ثبوت هذه الأحجار المعينة بعصر وغيرها ، إنما الغرض منه تنزيه الجنب الرفيع الأعلى والمقام الأسنى ، عن أن ينسب إلى حماه الأجل الأسمى ، ما لم يثبت عنه أصلاً ، ولا ورد لا قولاً ولا فعلاً ، فلا يتوهم عاقل ألبتة من نفي ذلك نقصاً معاذ الله وحاشا وكلاً ، بل ذلك يقتضى زيادة رفته العظيمة ، وأنافة منزلته الكريمة ، بحيث لا يحام حول ذلك الحمى الأعظم ، إلا بما ورد عنه صلى الله عليه وسلم ، ونصّ على ثبوته من يوثق به من الأئمة الحفاظ الأعلام ، جهابذة الإسلام . »

الآثار التي بالقسطنطينية

هي المعروفة عند الأتراك بالأمانات المباركة ، ولم تزل محفوظة إلى اليوم بقصر طوبقبو بالقسطنطينية ، وكان بنو عثمان يبالبون في تعظيمها ، ويعدونها من مفاخر دولتهم . والذي يذكره عنها مؤرخو الترك ، أنها كانت عند الشرفاء أمراء مكة ، فلما استولى السلطان سليم على مصر سنة ٩٢٣ هـ طلبها من الشريف بركات أمير مكة وقتئذ ، فبعث بها إليه مع ولده أبي نعيم ، فحملها السلطان إلى القسطنطينية في عودته إليها ؛ وذهب بعضهم إلى أنها كانت عند الخلفاء العباسيين الذين كانوا بمصر فتسلمها السلطان من آخرهم ، وهو المتوكل على الله ، محمد بن يعقوب^(١) بل ربما تجد هذا الخلاف في الكتاب الواحد فترى الرأي الأول في موضع منه ثم ترى الثاني في موضع آخر بلا تنبيه أو إشارة ، غير أن أكثرهم

(١) هو آخر الخلفاء العباسيين بمصر بل آخرهم على الإطلاق وبموته انقرضت خلافتهم من الدنيا . وكان السلطان سليم العثماني بعد فتحه مصر أخذه معه إلى دار ملكه واعتقله بها ثم عاد بعد وفاته إلى مصر وأقام بها منعوتاً بالخليفة وبأمر المؤمنين إلى أن توفي في ولاية داود باشا سنة ٩٥٠ هـ فما جاء في التاريخ التركي السمي (علاوة لى أثمار التواريخ) من وفاته بالقسطنطينية ودفنه بجوار أبي أيوب الأنصارى غير صحيح فإن المدفون هناك أحد أقاربه الذين سافروا معه . وذكر قطب الدين الحنفى في الإعلام بأعلام بيت الله الحرام أن المتوكل هذا كان فاضلاً أديباً وأنه اجتمع به في رحلته إلى مصر لطلب العلم سنة ٩٤٢ هـ وأخذ عنه وأورد من شعره قوله مضمناً شطراً من لامية الطغرأتى :

لم يبق من محسن يرجى ولا حسن ولا كرم إليه مشتكى حزنى

وإنما ساد قوم غير ذى حسب (ما كنت أوثراًن يمتد بي زمنى)

وتعالمه : (حتى أرى دولة الأوغاد والسفل)

على رأى الأول ، والظاهر أن رأى الثانى مبنى على الاستنتاج لا على النقل لتوهمهم أن وجود الآثار النبوية عند الخلفاء من مستلزمات الخلافة ومكملاتها ، فلما عاد السلطان سليم من مصر بالخليفة والآثار ، ظنوا أنه تسلمها منه .

وليس فى التواريخ العربية التى بأيدينا ذكر لهذه الآثار ولا إشارة إليها سوى أن ابن إياس لما ذكر قدوم ابن الشريف بركات على السلطان سليم بمصر قال عنه : « وأحضر صحبته تقادم فاخرة » والمراد بالتقادم الهدايا ، فلعل هذه الآثار كانت منها ، ولكن سكوته عن الإنصاح عنها - مع ما لها من الشأن وجلالة القدر - لا يخلو من نظر .

والذى استخلصناه عن الشريف بركات هذا من تواريخ الحجاز أنه بركات بن محمد بن بركات ، ولد بكة سنة ٨٦١ ، وسافر إلى القاهرة سنة ٨٧٨ ، ورجع شريكا لوالده فى الإمارة ، ثم استقل بها بعد وفاته سنة ٩٠٣ ، ثم ثار عليه أخواه : الشريف هزاع والشريف أحمد الملقب بالجازانى سنة ٩٠٤ ، ووقعت بينهم حروب آلت إلى ورود مرسوم السلطان الغورى من مصر بتولية هزاع الإمارة فتولاها إلى أن توفى سنة ٩٠٧ ، فتولاها بعده أخوه أحمد ، ثم ورد المرسوم من مصر بإعادة بركات فأعيد ، ووقعت بينه وبين أحمد حروب وأهوال فى أثناء سنة ٩٠٨ ثم وصلت جنود من مصر فى ذى القعدة من تلك السنة فمال قائدها مع أحمد وأعاده وقبض على بركات وجماعة من الأشراف وجعلهم فى الحديد وعاد بهم إلى مصر بعد نهب دورهم ، فتألم السلطان الغورى لذلك وأمر

بإطلاقهم وإكرامهم ، ثم فرّ بركات في أواخر هذه السنة أو في سنة ٩٠٩
فألقي أخاه أحمد قد قتل ، وتولى بعده أخوه حميضة ، ثم عاد بركات
إلى الإمارة ، ووصله مرسوم الغورى سنة ٩١٠ ، وعيّن ملكه وفوض
إليه أمر الحجاز جميعه ، ثم شاركه في الحكم ولده أبو نُمَيْ وهو صغير بأمر
الغورى ، ولما استولى السلطان سليم على مصر سنة ٩٢٣ ، أرسل إلى
الشريف بركات يطلب دخوله في الطاعة ، فأجاب ، وأرسل ولده أبا نُمَيْ
فقابل السلطان ولقى منه إكراماً ، ثم أعاده إلى والده شريكاه في الإمارة
كما كان إلى أن توفى والده سنة ٩٣١ ، فتولاها أبو نُمَيْ منفرداً ، وكانت
ولادته ليلة ٩ ذى الحجة سنة ٩١١ ، ووفاته سنة ٩٩٢ عن ثمانين سنة . اهـ .
وقد ذكر ابن إياس قدومه إلى مصر وعودته منها ومقابلته للسلطان سليم
في حوادث سنة ٩١٣ فقال في حوادث جمادى الآخرة منها ما نصه :
« وفي يوم الأحد خامس عشرة ، حضر إلى الأبواب الشريفة ابن السيد
الشريف بركات أمير مكة ، وكان سبب حضوره أنه أتى ليهنئ ابن عثمان
بمملكة مصر وأحضر صحبته تقادم فاخرة وحضر صحبته ببيردى بن
كسبای أحد أمراء العشراوات الذى كان باش المجاورين بمكة » . اهـ . وقال
في حوادث رجب من تلك السنة : « وفي يوم الخميس رابعه خرج إلى
السفر ابن السيد الشريف بركات أمير مكة فتوجه إلى وطاقه ^(١) الذى

(١) الوطاق محرف عن أوتاق وهو بالتركية الحيمة الكبيرة التى للعطاء . والمراد هنا

بالريدانية^(١) فكان له موكب حافل ، وخلع عليه السلطان قفطان^(٢) تاسيح
مذهب وقدّامه الرماة بالنقط ، وخرج صحبته غالب الحجازيين الذين
كانوا بالقاهرة ، وقد أشار عليه السلطان بأن الحجازيين الذين بالقاهرة
تخرج صحبته إلى استنبول ، وأشيع أن السلطان سليم شاه كتب
مراسيم للسيد الشريف بركات أمير مكة بأن يكون عوضاً عن الباشا الذى
بها وجعله هو المتصرف فى أمر مكة قاطبة وأضاف له نظر الحسبة بمكة
أيضاً وأنصفه غاية الإنصاف ، وتزايدت عظمة السيد بركات الشريف
إلى الغاية ، وأكرم ولده غاية الإكرام .

مظنها ورسوم زيارتها : لما عاد السلطان سليم من مصر إلى القسطنطينية
بهذه الآثار جعلها فى مسكن الحرم بقصر طوبقوبو حتى هياً لها حجرة
خاصة بهذا القصر نقلها إليها ووكّل بها من يقوم بخدمتها ، وكان يحتفل
بزيارتها مع عظماء دولته فى شهر رمضان ، والغالب أن يكون ذلك فى
منتصفه ، وسنّ لهذه الزيارة نظاماً ورسوماً مفصلة فى التواريخ التركية .
ثم لما تولى السلطان مراد بن أحمد سنة ١٠٣٢ - وهو المعروف عندهم

(١) الريدانية شمالي القاهرة وتسمى الآن العباسية نسبة إلى عباس باشا الكبير والى
مصر التوفى سنة ١٢٨٠ وكان بنى بها قصرآ لسكنه وثكنات للجند ومدرسة لتعليم الضباط
ثم امتد عمرانها بعد ذلك واتصلت أبنيتها بالقاهرة وصارت قسماً منها

(٢) القفطان - يضم فسكون على ما تنطق به العامة بمصر - لباس معروف يلبس
تحت الجبة وأصله فى التركية قفطان بفتح فسكون وفى الفارسية خفتان بفتح فسكون أيضاً
وقد رأيناه مستعملا فى عبارات المؤلفين وفى أشعار المولدين بالخاء كقول السعوى فى
مروج الذهب عن يعقوب بن الليث الصفار : « وأكثر لباسه خفتان مصبوغ فاخى »
وورد كذلك فى شعر السلاوى والوأواء الدمشقى من شعراء اليتيمة وغيرها .

يمراد الرابع - نقل الآثار إلى حجرة أخرى خصها بها في هذا القصر وأبقى نظام زيارتها كما هو ، وما زال كذلك إلى أن أبطله السلطان محمود ابن عبد الحميد المعروف بمحمود الثانى سنة ١٢٤٠ ، واستعاض عنه بنظام آخر بقى متبعاً عندهم إلى انقراض دولتهم بخلع الأمير عبد الحميد بن عبد العزيز ، وإخراج أسرة بنى عثمان من المملكة سنة ١٣٤٢ . وكانت لهم عناية كبيرة فى الاحتفال بهذه الزيارة فى منتصف شهر رمضان بحضور السلطان ووزرائه وعظماء دولته ، ويسمونها زيارة الأمانات المباركة ، أو زيارة الخرقه الشريفه ، أو خرقه السعادة ، لأن بينها قطعة من ثوب يزعمون أنها البردة التى وهبها صلى الله عليه وسلم لكعب بن زهير رضى الله عنه^(١) . وما زالت هذه الآثار إلى اليوم فى حجرتها بهذا القصر محفوظه فى صناديق من الفضة المذهبة .

بيانها : فى هذه الآثار ما هو منسوب إلى النبى صلى الله عليه وسلم وفيها ما هو منسوب إلى بعض الأنبياء عليهم السلام أو بعض الصحابة رضى الله عنهم . وهى كثيرة لم يذكر أصحاب التواريخ التركية إلا أهمها . وقد رأينا أن نسردها على علّاتها كما سردوها ، ثم نعقبها ببيان رأينا فيها ، وهى :

(١) تقدم فى فصل البردة والتضييب أن القرمانى ذكر هذه البردة فى تاريخه (أخبار الدول) وقال إنها عند سلاطين آل عثمان يتباركون بها ويسقون ماءها لمن به ألم فيراً بإذن الله ، وأن السلطان مراداً آخذ لها صندوقاً من ذهب تعظيماً لها وتوقيراً . وقد بينا هناك ما وقع فى كلامه من الوهم عن مصير هذه البردة إلى بنى عثمان فليراجع .

سن من الأسنان النبوية ، نعلان نبويتان ، خرقة السمادة وهي على
زعهم البردة التي وهبها صلى الله عليه وسلم لسكعب بن زهير ، حجر عليه
أثر القدم الشريفة ، السجادة النبوية ، قبضة سيف من السيوف النبوية ،
القوس النبوية ، اللواء النبوي ، ماء من الغسل النبوي ، قِدر منسوبة لنوح
عليه السلام ، رجل كان خليل الله إبراهيم عليه السلام ، سيف داود عليه
السلام ، عصا شعيب عليه السلام قميص يوسف عليه السلام ، ميزاب
من الذهب كان بالكعبة المعظمة^(١) ، غطاء باب التوبة^(٢) (ولله حلية
كانت عليه) ، حلية من الفضة كانت على مقام إبراهيم عليه السلام بالحرم
المكي ، قطعة من الخزف ، سجادة الصديق رضى الله عنه ، عمام الخلفاء
الأربعة رضى الله عنهم وسيوفهم وراياتهم وسُبحاتهم ، قبضات ستة
سيوف من سيوف العشرة المبشرين بالجنة رضى الله عنهم ، رايتا الحسن
والحسين عليهما السلام ، سيف جعفر الطيار رضى الله عنه ، سيف خالد
ابن يزيد من الصحابة (ولعلهم يريدون خالد بن الوليد رضى الله عنه)
سيف شُرَحْبِيل بن حَسَنَة أحد الأنصحاب رضى الله عنه ، سيف مُعَاذ بن
جَبَل من الأنصحاب رضى الله عنه ، تاج أُوَيْس القرَني رضى الله عنه ،
مصحف يزعمون أنه بخط الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام ،
مصحف يزعمون أنه بخط عثمان رضى الله عنه ، مصحف بخط زين العابدين

(١) لعله مفتاح قديم لها فإن مفاتيح الكعبة عند بني شبة . وكان يعمل لها بمصر
كيس من الديباج الأخضر الطرز يرسل به إلى مكة مع الكسوة ويحدد كل سنة .
(٢) باب التوبة باب صغير بالكعبة المعظمة يقضى إلى سلم يصعد عليه إلى سطحها .

من الصحابة (والمسلم يريدون الإمام عليا زين العابدين ابن الإمام الحسين عليهما السلام ولم يكن من الصحابة لأنه ولد في خلافة جدّه) .

هذا ما سردوه في توارخهم في بيان أم الأمانات المباركة ، وذكروا أيضاً في كلامهم على إمارة مكة أن الشريف أرسل إلى السلطان مع هذه الأمانات بمفاتيح مكة إشارة إلى دخوله في طاعته وتسليمه البلد إليه . ويدكرون في خبر تولى السلطان مراد بن أحمد الملك سنة ١٠٣٢ ، وهو المعروف بمراد الرابع ، أنهم احتفلوا في اليوم التالي ليوم مبايعته بتقليده السيف فقلدوه سيفين أحدهما سيف نبوي والآخر سيف السلطان سليم بن بايزيد ، وأنه لاث يومئذ على رأسه عمامة يوسف عليه السلام المجلوبة من مصر من خزانة السلطان الغوري ، وكان المعروف أن بين هذه الآثار شعرات نبوية منفصل الكلام عليها في فصل الشعرات الشريفة .

حكمها : لا يخفى أن بعض هذه الآثار محتمل الصحة ، غير أننا لم نر أحداً من الثقات ذكرها بإثبات أو نفي ، فالحق سبحانه أعلم بها . وبعضها لا يسعنا أن نكنم ما يخامر النفس فيها من الريب ويتنازعها من الشكوك ، ولا سيما فيما نسب للأنبياء نوح والخليل وداود وشعيب ويوسف ، صلوات الله وسلامه عليهم مع بعد العهد وتقادم الزمن ، وكذلك السَّبَح المنسوبة للخلفاء الأربعة ، فإن السَّبَح بهذا الشكل المعروف لم تكن حدثت في ذلك العصر ، وإنما كانوا يعدون التسبيح بالأمايل وبالنبوي والحصا وعَقْد المَقْد في الخيوط كالخيوط الذي كان لأبي هريرة رضي الله عنه . وقد جمع الإمام السيوطي جزءاً في ذلك سماه « المنحة في السبحة »

وهو مفيد فليراجع . ومما يتوقف فيه زعمهم في المصحفين أنهما بخط الإمامين علي وعثمان رضي الله عنهما . وقد تقدم في فصل الآثار النبوية التي بعصر ذكر مصحف معها قيل إنه بخط أمير المؤمنين أيضاً ، وآخر قيل إنه بخط ذي النورين ، وأشرنا هناك إلى استبعادنا صحة ذلك والله أعلم . أما مفاتيح مكة التي ذكروها فلا ندرى أأرجعت أم عملت لمكة مفاتيح غيرها ، فإن مفاتيحها حملت إلى دار الملك مرة أخرى سنة ١٢٢٨ بعد انتزاع الحجاز من الوهابية مدة العزيز محمد علي ، وكان أرسل بها مع مملوكه لطيف أغا مبشراً بالفتح ، وذكر الجبرتي خبر وصوله إلى القسطنطينية واحتفالهم به بما نصه : « وعند دخوله إلى البلدة عملوا له موكباً عظيماً مشى فيه أعيان الدولة وأكابرها وصحبته عدة مفاتيح زعموا أنها مفاتيح مكة وجدة والمدينة ، وضعوها على صفائح الذهب والفضة ، وأمامها البخورات في مجامر الذهب والفضة والعطر والطيب ، وخلفهم الطبول والزمور ، وعملوا لذلك شوكاً ومدافع ، وأنعم عليه السلطان وأعطاه خلعاً وهدايا وكذلك أكابر الدولة ، وأنعم عليه الخنكار بطوخين^(١) وصار يقال له لطيف باشا » اهـ .

وكانت نهاية لطيف باشا هذا أنه عاد إلى مصر مزوداً من رجال الدولة

(١) الطوخ يقال له في التركية (توغ) بالناء والنين المعجمة وهو دخيل فيها من الفارسية ، وكان قديماً في الدولة العثمانية من الشارات الخاصة بذوى الرتب من رجالها وهو خصلة من ذنب الفرس تعلق على رمح يرفع على رأس العظيم منهم ، وكان الرسم أن يكون لأمر اللواء توغ واحد على الرمح فإذا كان أميراً للأمراء علق على رمحه توغان وكان للوزير ثلاثة وللصدر الأعظم خمسة وللسلطان في زمن الحرب سبعة .

بإثارة فتنة تنزع فيها مصر من العزيز محمد على وهو غائب بالحجاز ويولى هو عليها ، فأحس بذلك محمد بك لازاً وعلى كتحدا مصر أى وزيرها ، وتدارك أمره قبل استفحاله فقبض عليه وقتله فى ذى الحجة سنة ١٢٢٨ ، ولهذا لما أراد خديو مصر العزيز إسماعيل بن إبراهيم إقامة تمثال لجده محمد على بالإسكندرية وآخر لأبيه إبراهيم بالقاهرة ، أقام أيضاً بالقاهرة تمثالا لسليمان باشا الفرنساوى لتنظيمه الجيش وآخر لمحمد بك لازاً وعلى لحفظه مضر لهم ولهذا جعلوه ماداً ذراعه يشير بإصبعه إلى الأرض كناية عن تثبيتته ملكهم بأرض مصر ، ولم يكونوا وجدوا له صورة يصوغون التمثال عليها فأرشدتهم وقتئذ أحد من أدركه إلى تاجر تركى بخان الخليلى يشبهه فصاغوا التمثال على مثاله ، وهو قائم الآن فى ميدان بشارع الدواوين يسمى بميدان لازاً وعلى وكانت وفاته سنة ١٢٤٣ ودفن حسب وصيته فى قبة الشيخ يوسف بشارع القصر العينى عن عيين المار به إلى مصر العتيقة ، ودفنت بجواره زوجته المتوفاة سنة ١٢٥٠ ، وليس فى القبة غير هذه القبور : قبر الشيخ يوسف فى الشمال ، ويليه قبر المرحوم محمد بك فى وسط القبة ثم قبر زوجته . وفى جنوبى هذه القبة قبة مثلها ليس بها قبور . جعلت الآن مسجداً ، وموضع التمثال لا يبعد كثيراً عن القبتين .

الشعرات الشريفة

قال العلامة ابن المجرى فى تنزيه المصطفى المختار : « ثبت فى الصحيحين بروايات متعددة أن النبي صلى الله عليه وسلم خلق رأسه الشريف فى حجة الوداع وقسم شعره أو أمر أبا طلحة وزوجته أم سلمة بقسمته بين الصحابة الرجال والنساء الشعرة والشعرتين . قال العلامة ابن حجر فيه : إنه يُسنُّ بل يتأكد التبرك بشعره صلى الله عليه وسلم وسائر آثاره » انتهى . وذكر القسطلاني الروايات فى ذلك عن الشيخين فى كلامه على حجة الوداع من المواهب اللدنية وجاء فى شرحها لسيدي محمد الزرقاني أن روايات الشيخين فى ذلك من طرق مدارها على محمد بن سيرين عن أنس وأنه صلى الله عليه وسلم قسم شعره بين أصحابه ليكون بركة باقية بينهم وتذكرة لهم ، وكأنه أشار بذلك إلى اقتراب الأجل ، وخص أبا طلحة بالقسمة التفاتاً إلى هذا المعنى لأنه هو الذى حفر قبره ولحد له وبني فيه اللبن . انتهى . وفى كتاب الشائل من المواهب اللدنية المذكورة مانصه : « وعن أنس قال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم والحلاق يحلقه وأطاف به أصحابه فما يريدون أن تقع شعرة إلا فى يد رجل . رواه مسلم » وفى الشرح أن ذلك كان فى حجة الوداع ، ثم قال فى المواهب : « وعن محمد ابن سيرين قال : قلت لعبيدة عندنا من شعر النبي صلى الله عليه وسلم أصبناه من قبل أنس أو من قبل أهل أنس فقال : لأن تكون عندي

شعرة منه أحب إلى من الدنيا وما فيها رواه البخارى . وفي الشرح :
أن وجه حصوله لمحمد أن سيرين والده كان مولى أنس ، وأنس ربيب
أبى طلحة وكان أول من أخذ من شعره كما فى الصحيح . انتهى . قلنا :
وسبب كونه ربيبه أن أم سلمة بنت ملحان بن خالد الأنصارية كانت
متزوجة بمالك بن النضر فى الجاهلية فولدت منه أنساً هذا وهو خادم
رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم تزوجها بعده فى الإسلام أبو طلحة فها
أصابه ابن سيرين من الشعر الشريف إنما وصل إلى أنس مما كان عند
أمه أو زوجها أبى طلحة . وفى البداية والنهاية لابن كثير عن عثمان بن
عبد الله بن موهب قال : دخلنا على أم سامة فأخرجت لنا من شعر رسول
الله صلى الله عليه وسلم فإذا هو أحمر مصبوغ بالحناء والكتم . رواه البخارى .
انتهى . وفى رواية أخرى أنها كانت خمس شعرات حمراء . وفى حديث رواه
الإمام البخارى أيضاً فى باب صفة النبى صلى الله عليه وسلم أن ربيعة بن
أبى عبد الرحمن رأى شعراً من شعره فإذا هو أحمر فسأل ف قيل أحمر من
الطيب . وفى الخصائص الصغرى للإمام السيوطى المسماة بأنموذج اللبيب
أنه صلى الله عليه وسلم قسم شعره على أصحابه . وقال فى خصائصه الكبرى :
« أخرج سعيد بن منصور وابن سعد وأبو يعلى والحاكم والبيهقى وأبو نعيم
عن عبد الحميد بن جعفر عن أبيه أن خالد بن الوليد فقد قلنسوة له يوم
اليرموك فطلبها حتى وجدها وقال : اعتمر رسول الله صلى الله عليه وسلم
خلق رأسه فابتدر الناس جوانب شعره فسبقتهم إلى ناصيته فجعلتها فى هذه
القلنسوة فلم أشهد قتالا وهى معى إلا رزقت النصر » . وفى فصل تحقيق

الإسراء والمعراج من نسيم الرياض شرح شفا القاضى عياض للعلامة شهاب الدين الخفاجى أن معاوية رضى الله عنه كان عنده إزار رسول صلى الله عليه وسلم ورداؤه وشيء من شعره وظفره فكفّن بردائه وإزاره وحشى شعره وظفره بفيه ومنخره بوصية منه . انتهى .

قلنا : فما صح من الشعرات التى تداولها الناس بعد ذلك فإنما وصل إليهم مما قسم يير الأصحاب رضى الله عنهم ، غير أن الصعوبة فى معرفة صحيحها من زائفها ، وسنورد ما اتصل بنا من أخبارها كما بلغنا وعلى ما رأيناه مسطوراً ، تاركين للقراء الكرام الحكم فيها بما تطمئن إليه نفوسهم .

الشعرات الواردة فى الأخبار

شعرة طنت عند المرشدى بمكة : ذكرها العلامة السخاوى فى الضوء اللامع فى ترجمة أبى عبد الله محمد بن أبى بكر المعروف بالمرشدى المولود سنة ٧٦٣ بمكة والمتوفى بالمدينة سنة ٨٢٩ فقال عنه : « كان خيراً ديناً ورعاً زاهداً متجمعاً عن الناس ، زار النبى صلى الله عليه وسلم أكثر من خمسين سنة مشياً على قدميه ، وكذا زار بيت المقدس ثلاث مرار ولقى بها رجلاً صالحاً كانت عنده ست شعرات مضافة للنبي صلى الله عليه وسلم ففرّقها عند موته على ستة أنفس بالسوية كان هذا أحدهم كما سبق فى ترجمة ولده عمر » انتهى . والصواب أنه فرّقها على ثلاثة أنفس لستة على ما ذكره فى ترجمة ولده المذكور عمر بن محمد المرشدى المتوفى سنة ٨٦٢ فإنه قال فيها :

« وكانت عنده شعرة مضافة للنبي صلى الله عليه وسلم تلقاها عن أبيه المتلقى لها عن شيخ بيت المقدس كانت عنده ست شعرات ففرقها عند موته بالسوية على ثلاثة أنفوس هو أحدهم فضاعت شعرة منهما وقد تبركت بها عنده سنة ست وخمسين » انتهى . ومراده أنه تبرك بها في مكة لما حج . ثم ورث هذه الشعرة أبو حامد المرشدي عن أبيه عمر المذكور ، وذكرها السخاوي في ترجمته بالضوء اللامع في باب الكنى لأن كنيته اسمه وهو أبو حامد بن محمد المرشدي المولود تقريباً سنه بضع وخمسين وثمانى مائة قال السخاوي : « وهو خير متعبد زائد الفاقة عنده شعرة منسوبة للنبي صلى الله عليه وسلم ورثها من أبيه » . قلنا : وقد زار العلامة القسطلاني هذه الشعرة وذكرها في كتاب الشئائل من المواهب اللدنية فقال : « وقد رأيت بمكة المشرفة في ذى القعدة سنة ٨٩٧ شعرة عند الشيخ أبي حامد المرشدي شاع وذاع أنها من شعره صلى الله عليه وسلم زرتها صحبة المقام الغرسي خليل العباسي وإلى الله إحسانه عليه » .

شعرة أخرى كانت بمكة : ذكرها ابن العجمي في تنزيه المصطفى المختار

نقلنا عن العلامة ابن حجر الهيتمي ونص عبارته : « بمكة شعرة من شعره المكرم مشهورة تزار ، واتفق الخلف عن السلف أنها من شعره صلى الله عليه وسلم » انتهى . ولا ندرى أهي الشعرة التي كانت عند آل المرشدي أم غيرها . ثم استطرد إلى ذكر فتوى لابن حجر عن شعرة كانت عند أخوين آثرنا نقلها لتضمنها خبر إحدى الشعرات النبوية ، ونص ما قال : « وأفاد في فتاويه أنه مثل عن شعرة من شعر النبي صلى الله عليه وسلم

على ما قيل كانت عند أخوين يزورها الناس وما يحصل من الفتوح يقسم بينهما ثم ماتا فهل إذا طلب ورثتهما قسمتها تقسم كما فعل بعض جدودهم ذلك وقسمها أم لا ؟ فأجاب بقوله هذه الشعرة الشريفة لا تورث ولا تملك ولا تقبل القسمة ، فالمدكورون مستوون في الاختصاص بها والخدمة لها لا تميز لأحد منهم على أحد » انتهى .

شعرات ثلاث بنونى : أفادنا عنها علم من أعلام تونس الثقات ، وكانت بثلاثة أما كن :

أمرها : قبر الصحابي الجليل سيدى أبى زمعة البلوى^(١) دفن القيروان وكان أخذ من الشعرات الشريفة يوم منى في عام حجة الوداع لما خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم رأسه ووضعها أبو زمعة في قلنسوته إلى أن استشهد في القيروان فدفنت معه . قلنا : وقد راجعنا ترجمته في معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان للعلامة عبد الرحمن بن محمد الدباغ فرأينا بها مانصه : « ومات بالقيروان ودفن بالبقعة التى تعرف الآن بالبلوية سميت به من ذلك الوقت وأمرهم أن يسترؤا قبره ودفن معه قلنسوته وفيها من شعر رسول الله صلى الله عليه وسلم تسليما ، وذكره الشيخ أبو القاسم عبد الرحمن ابن محمد بن رشيق فى كرامات أهل إفريقية . قلت : ونعرف من حفظى أنه

(١) اسم عبد غير مضاف إلى الله وقيل عبيد بالتصغير ابن أرقم البلوى ذكره الحافظ ابن حجر فى الإصابة وابن الأثير فى أسد الغابة فى عبد وفى عبيد ، قالا وهو مشهور بكنيته . ثم ترجماه فى الكنى وقال الحافظ ابن حجر : وقيل اسمه عبيد بن آدم ، والذى فى معالم الإيمان عبيد الله بن آدم .

كان فيها ثلاث شعرات وأنه أوصى أن تعمل شعرة على عينه اليمنى وشعرة على عينه اليسرى وشعرة على لسانه . انتهى .

الثاني : قال الوزير السراج الأندلسي ثم التونسي : تواتر الخبر بأن بدار الأشياخ بتونس شعرات من شعر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهي الآن بالزاوية البرانية بخارج باب قرطاجنة المعروفة بزاوية ولي الله المرحاني ، قال ابن الدباغ : أراني إياها حفيده أبو فارس عبد العزيز فتبركت بها ، وبها براءة قديمة مكتوب فيها صحة كونها من شعره صلى الله عليه وسلم ، وبها أثر صفرة ، قال : وكان شيخنا أبو صالح البطريني يصحح لنا كون ذلك حقاً .

الثالث : قال الوزير : ومن الأماكن أيضاً ما حدثني والذي حفظه الله

تعالى أن الشيخ أبا شعرة المدفون بالزلاج وقبته معروفة وحولها فضاء مسور به شجر زيتون ، وإنما سمي أبا شعرة لقضية وهي أنه كان حرفته البناء ، فقادته أزمة السعادة أنه اصطنع لبعض الأكابر بناءات ضخمة تجمع له في أجرها مال ذو بال ، وكان في بعض خزائن صاحب البناءات شعرة من شعرات نبينا صلى الله عليه وسلم ، فقال له أبو شعرة : أعطني الشعرة الكريمة وأبرأك الله من جميع ما ترتب لي بدمتك . فأعطاه إياها فأوصى بدفنها معه ، فدفنت معه . تواتر النقل بذلك عند أهل تونس انتهى .

شعره عند الخططي بمصر : ذكره الحافظ ابن حجر العسقلاني في

ترجمته بالدرر الكامنة فقال : إنه على بن محمد بن الحسن الخلاطي الحنفي القادوسي المتوفى سنة ٧٠٨ وكان يقال له الركابي لزعمه أن عنده ركاب رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال : وكان يزعم أيضاً أن عنده من شعره .

انتهى باختصار ، وستأتى ترجمته بنصها فى فصل الركاب النبوى .

شمرة طانت بمدرسة ابن الزمن بمصر : قال العلامة السخاوى فى ترجمته

بالضوء اللامع : إنه شمس الدين محمد بن عمر بن محمد بن عمر الزمن القرشى
الدمشقى ثم القاهرى الشافعى المعروف بابن الزمن المولود سنة ٨٢٤ والمتوفى
سنة ٨٩٧ ، وكان مشتغلاً كآبىه بالتجارة واجتمع بعلمااء كثيرين ذكرهم ثم
قال : « وكذا لقى غير واحد من الصالحين ، ووقع له مع بعضهم غرائب
وكرامات انتفع بها ، وأعطاه شخص منهم يسمى بيرجمال^(١) الشيرازى
شمرة تنسب للنبي صلى الله عليه وسلم ، وقال إنها عنده ، وكذا أحضر له من
خير بعض الأحجار المنسوب أن بها أثر القدم الشريفة ، وكتاب قيل إنه
بخط أحد كتاب الوحي ، والكل محفوظ بالمدرسة التى شرع فى إنشائها
بشاطيء بولاق » . انتهى .

سمرات طانت بمجامع برسباى بالخانقاه : وهى قرية بمصر شمالى القاهرة على

بريد منها تعرف بخانقاه سرياقوس لقربها من سرياقوس ، وكان السلطان
الملك الناصر محمد بن قلاوون أنشأ فى هذا المكان خانقاه للصوفية ومسجداً
وحماما وغير ذلك سنة ٧٢٣ ثم رغب الناس فى السكنى حول هذه الخانقاه
وبنوا الدور والخوانيت حتى صارت بلدة كبيرة مازالت باقية إلى اليوم
وتسميها العامة : الخانكة . ثم لما تولى السلطان الملك الأشرف برسباى
التركانى على مصر سنة ٨٢٥ وسافر إلى آمد لقتال ملكها سنة ٨٣٢ نزل

(١) البير يكسر الباء الأعجمية يطلق على الشيخ السن فى التركية وهو دخيل فيها من
الفارسية ، ويطلق أيضاً على الشيخ من مشايخ الصوفية الأعاجم وهو المراد هنا .

بمكان خال من هذه البلدة فنذر إن أحياء الله وظفروه بعدوه ورجع سنالمليمرن
في هذا المكان مدرسة وسبيلا ، فلما ظفر بعدوه ورجع أنشأ هناك جامعاً
عظيماً^(١) مفروشة أرضه بالرخام الملون ، وبني بجواره سبيلا قال الإسحاق
في تاريخه (لطائف أخبار الأول) : وقيل إن بمحراب الجامع المذكور
تسع شعرات من شعر النبي صلى الله عليه وسلم ، وفي معنى ذلك قال الشاعر :

الأشرف السلطان عمر جامعاً بالخانقاه ليرتحم^(٢) بشوابه
وأتى بآثار النبي محمد شعراته قد قيل في محرابه
وإمامه بين البرية محسن وكذا القضاة مع الشهود يبابه

انتهى . ولما وصل العلامة عبد الغنى النابلسي إلى مصر في رحلته إليها
في أوائل القرن الثاني عشر مرّ على بلدة الخانقاه ونزل بها وذكرها في
(الحقيقة والمجاز ، في رحلة الشام ومصر والحجاز) وذكر مدرسة الأشرف
برسبای بقوله : « وفي البلدة المذكورة جامع السلطان الملك الأشرف وهو
جامع عظيم ، له قدر بين الجوامع جسيم ، وذلك أن في محرابه شعرات مدفونة
من شعرات الرسول عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم . وقد أنشدنا فيه
بعض الناس من الجزل ، لبعض أصحاب الرقة والغزل ، قوله :

بلدة الخانقاه مذ قد تجلّت قد حلت وانجلت حلاها السنية

(١) كانت دروس العلم تلقى بالمساجد وماخصص منها لذلك كان يعبر عنه تارة بالمسجد
وبالجامع وتارة بالمدرسة .

(٢) سكن آخره لضرورة الوزن .

مذبت في الوري عروس حلاها تقطوها الملوك بالأشرفية^(١) « اه
سمرات كانت عند منجك اليوسفي : ذكرها النعمي في تنبيه الطالب
وإرشاد الدارس إلى ما بدمشق من الجوامع والمدارس في كلامه على المدرسة
المنجكية التي أنشأها للحنفية الأمير سيف الدين منجك اليوسفي الناصري
المتوفى بالقاهرة سنة ٧٧٦ وكان مملوكا للناصر محمد بن قلاوون وتنقلت به
الأحوال فولى عدة ولايات كنيابة طرابلس وحلب ودمشق وصفد ، ثم
طلب إلى القاهرة وولى نيابة المملكة إلى أن توفى بها . قال النعمي في
ذكر مناقبه : « ومن سعادته أنه ظفر بشعر من شعر النبي صلى الله عليه وسلم
فكان لا يزال معه وكان حسن الملتقى سيما لأهل العلم » ومثله في مختصر
هذا الكتاب للشيخ عبد الباسط العامري .

(١) قوله (تقطوها) أتى بها على لغة أكلوني البراغيث ، وفي بعض كتب الأدب
(تقطها) والتقيط عند العامة إهداء التحف للعروس ليلة عرسها والانعام على المغنين
بالجوائز والاسم منه النقطة بضم فسكون . وفي قوله الأشرفية تورية لأنها كما يراد بها
المدرسة الأشرفية قاتها كانت تطلق أيضا على دنانير أحدثها الملك الأشرف برسبأي
سنة ٨٣١م تساهلوا بعد ذلك في التعبير عن كل دينار بالأشرفي منسوباً إلى ضاربه كالأشرفي
الغوري والأشرفي السليمي وأطلق أيضاً على نوع من الدراهم ، وقد حرفته العامة فقالت :
فيه (شريف) يكسر أوله وثانيه وكانوا يعبرون به عن الدينار إلى أوائل القرن الماضي
ثم لم يبق له ذكر إلا في أقاصيص العجائز .

الشعرات الباقية إلى اليوم

شعرات المسجد الحسيني بالقاهرة : منها الشعرتان اللتان كانتا مع الآثار النبوية بقبة الغورى وتقلتا معها إلى هذا المسجد ، وهما في زجاجة محفوظة في صندوق صغير من الفضة ملفوف بلفافة من الديباج الأخضر المطرز ، وقد تقدم ذكرهما في فصل الآثار التي بمصر. ثم أضيفت إليهما شعرة كانت عند أحمد طلعة باشا وكان من رجال مصر المشهورين ومن الكتاب المجيدين الإنشاء باللغة التركية تولى رئاسة الديوان الخديوى مرات مدة وإلى مصر محمد سعيد والخديوى إسماعيل وابنه الخديو توفيق وكان دخوله في الخدمة في ١٦ جمادى الأولى سنة ١٢٩٤ زمن العزيز محمد على واستقال في جمادى الأولى سنة ١٣٠١ فأقيل مكرماً ورتب له المرتب الكافى فأقام في داره بشارع السيوفية بالقاهرة مقبلاً على العبادة والأعمال الصالحة إلى أن توفى يوم الأحد ٢ جمادى الثانية سنة ١٣٢٢ . وكان المشاع على الأفواه أن هذه الشعرة حباه بها السلطان في إحدى سفراته إلى القسطنطينية موفداً من الخديو لتسوية بعض الأمور ، ولكن المحقق عند أسرته أنها أهديت إليه من أحد الحجازيين على أنها من الشعر الشريف فعوضه عنها شيئاً كثيراً ، ولما توفى اتفق بنوه على إهدائها للمسجد الحسيني لتحفظ فيه مع الآثار النبوية وكانت محفوظة عندهم في قارورة فتبرعت لها السيدة خديجة كبرى بناته بصندوق من الفضة وضعت فيه الزجاجة ولف بسبع لفائف من الديباج الأخضر ، ثم حملت بالتعظيم والإجلال إلى المسجد فحفظت فيه

مع الآثار وهى مجهولة المصدر لا يعلم من أين وقعت لهذا الحجازى . وفى سنة ١٣٤٠ أو ١٣٤١ أضيفت إليها شعرات كانت بالرباط المعروف بتكية^(١) الكاشنى بشارع تحت الربع فى قارورة مختومة بالشمع الأحمر ومحفوظة فى صندوق من الخشب والزجاج موضوع فى خزانة من الخشب والزجاج أيضاً من الصناعة العربية البديعة، فرأى وزير الأوقاف نقلها إلى المسجد الحسينى وحفظها مع الآثار النبوية فنقلت، وأمرها أيضاً مجهول لا يعلم من أين أتت للرباط . ثم فى شوال سنة ١٣٤٢ أحضرت الحاجة ملكة حاضنة الأمير كمال الدين ابن السلطان حسين سلطان مصر الساكنة بشارع المبتديان بالقاهرة قارورة صغيرة إلى المسجد الحسينى وأخبرت أن بها شعرات من اللحية النبوية الشريفة وأنها تريد إهداءها لتحفظ مع الآثار فأجيبته إلى ذلك ، وكانت القارورة ملفوفة بقطعتين من الديباج الأخضر وموضوعة فى صندوق صغير مكسو بالخمل الأحمر وملفوف بثلاث لفافات من الديباج الأخضر ثم بلفافة من الخمل البنفسجى مطرزة الحواشى . وهى خمس شعرات على ما يقال مجهولة الأصل أيضاً .

شعرة رباط النقشبندية بالقاهرة : المعروف بتكية النقشبندية بشارع درب الجمايز عن يسار السالك به من ميدان باب الخلق وهى من إنشاء والى مصر

(١) التكية رباط الصوفية وكانوا يسمونها بالخاقاه وهى فى لغة عامة مصر بفتح التاء وكسر الكاف وفتح الياء المشددة وفى اللغة التركية والفارسية بفتح التاء وسكون الكاف وفتح الياء المخففة ، وقد يحرفها الأتراك فيقولون فيها تسكه بفتحين بلا ياء

عباس باشا الكبير، وسبب إنشائها أنه كان عظيم الاعتقاد في الشيخ محمد عاشق النقشبندی فطلب منه أن يبنى له ولصوفيته مكاناً للسكن والعبادة فبنى لهم هذه التكية سنة ١٢٦٨ وجعل بها مصلى وحجراً للصوفية وداراً لشيخهم وأنشأ بها حديقة ووقف عليها أوقافاً كثيرة. ثم لما توفي الشيخ محمد عاشق المذكور سنة ١٣٠٠ دفن بها في مقصورة ولم يعقب ذكوراً فتولى عليها سبطه السيد عثمان خالد وما زال بها إلى الآن. وكانت والدته عباس باشا المذكور لما حجت أحضرت معها من الحجاز شعرة أهديت إليها على أنها من الشعر الشريف، فلما حضرتها الوفاة سلمتها للشيخ محمد عاشق وطلبت منه حفظها بالتكية ليتبرك الناس بها وهي ملصقة بقطعة من الشمع وعقوطة في ثلاثة صناديق صغيرة الواحد داخل الآخر وكان الشيخ يحتفل بإخراجها في ليلة المولد النبوي وليلة الإسراء ويدعو لذلك العلماء وكبار رجال الدولة والأعيان ويوم لهم ثم يخرجها من الصناديق ويمسح بها على جفونهم ويناله منهم الشيء الكثير، ثم بطل هذا الاحتفال بعد موته وجعلها سبطه بصناديقها في صندوق أكبر منها علقه على المقصورة التي بها قبر جده، وهي باقية إلى اليوم كذلك.

شعرات القسطنطينية : أفادنا صديقنا العلامة السيد عبد الله مخلص^(١) المقيم الآن بحيفا أنها كانت يوم تولى السلطان محمد رشاد بن عبد الحميد المعروف بعهد

(١) وهو حفظه الله وأدام النفع به الذي أفادنا أيضاً عن الشعرات التي يعرض البلاد الفلسطينية الآتي بيانها .

الخامس^(١) ثلاثاً وأربعين شعرة محفوظة مع الأمانات المباركة ، وأنه أهدى منها إلى بعض المدن بالملكة العثمانية أربعاً وعشرين وبقي تسع عشرة يرجع أنها باقية إلى اليوم ، لأن الفترة التي تلت موت رشاد وتولى فيها وحيد الدين ثم عبد المجيد كانت فترة قلاقل وفتن ، ثم تلاها عصر إلحاد ومروق من الدين وبعده أن يفكر أحد في هاتين المدينتين في الآثار النبوية وإهداء الشعرات الشريفة منها . قلنا : وقد علمنا أن السلطان رشاداً أهدى ملكة بهو بال شعرة منها أيضاً ، فيكون الباقي الآن ثمانى عشرة ، والله أعلم .

شعرات أخرى بالقسطنطينية : كان المعروف أن يبعث مساجدها شعرات

مفرقة بينها غير التي بالأمانات المباركة ، وقد نقلت ثلاث منها إلى ثلاث مدن بفلسطين كما سيأتي . وأخبرنا أستاذنا العلامة الأكبر الشيخ عبد الرحمن قراعة الذي كان مفتياً بالملكة المصرية عن المولى نوري أفندي آخر قضاة الدولة العثمانية بمصر أنه كان عنده شعرات نبوية ، قال : وأظنه أخبرني أنها ثلاث كانت متوارثة في أسرة والدته وكانت خالته آخر من كان يحفظها منهم ، ثم رآته أجدر بها منها فسامتها إليه ليقوم بحفظها في حياته وتبقى في أسرته من بعد . ولا يعلم الآن عن هذه الشعرات ولا عن حافظها شيء وكان آخر العهد به حين فصلته الدولة المصرية عقب وقوع الحرب العظمى وسفرته مع أسرته إلى القسطنطينية ، وبلغنا أنه جعل هناك شيخاً للإسلام

(١) ولد سنة ١٢٦٠ وتولى الملك بعد أخيه السلطان عبد الحميد سنة ١٣٢٧

ثم لم نسمع عنه شيئاً ، ولا سيما بعد الانقلاب الكمالى الذى انتهكت فيه حرمة الدين وعلمائه .

شجرة الشهد الحسينى برمشى : الملاصق للجدار الشرقى لصحن المسجد الأموى وقد سألنا عنها الصديق العلامة الأستاذ كاملاً القصاب الدمشقى نزيل حيفا الآن ، فأجابنا بما أفاده عنها أخوه الفاضل السيد سعيد الحمزاوى وهو ما أخبره به عن ابن عمه السيد حسين الحمزاوى عن أبيه السيد عبد الكريم الحمزاوى أن هذا المشهد كان متهدماً تكتنفه أطلال بالية فزاره والى دمشق الوزير فؤاد باشا سنة ١٢٧٨ وسعى لدى السلطان عبد العزيز فى تعميره وجعل الدار المجاورة له تكية باسم المقام يطعم فيها الطعام كل يوم بعد العصر ، وطلب من علماء دمشق انتخاب مشرف للمقام ومشرف للتكية من أهل الصلاح والعلم ، فاختاروا السيد سليماً الحمزاوى — والد السيد عبد الكريم المذكور والأخ الأكبر للسيد محمود الحمزاوى مفتى الشام — مشرفاً على المقام لصلته بنسبه بصاحبه الإمام الحسين عليه السلام وانتخبوا الشيخ محمداً العانى مشرفاً على التكية ، إلا أن التقليد السلطانى جاء باسم السيد خلوصى القادرى من أهل القسطنطينية بدلاً من العانى ، ثم إن السلطان عبد العزيز أرسل بشجرة من الآثار النبوية لحفظ بهذا المقام فحفظت فيه وما زالت إلى اليوم يحتفل بإخراجها فى العام مرة واحدة فى ليلة ٢٧ رمضان ويؤمها الناس بعد صلاة التراوىح فيقرأ القراء ثم يشرعون فى الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم ويخرجها المشرف فيتبرك الحاضرون بتقبيلها وهى بيده وذكر الصلاة مستمر إلى أن تنتهى الزيارة فتعاد إلى لفائفها

وصناديقها وترفع إلى مكانها . وفي هذا المقام لوح معلق بالجدار مكتوب فيه هذه الأبيات :

عَلَى قبة الأفلاك تشمخ قبة من أركانها نور النبوة بادی
حوت رأس مولانا الحسين ونجمله بها عبد الباری انیل مراد
بناها وهي حتى أتى الوقت أرخوا وجددها فضل الوزير فؤاد
١٣٧٨

شجرة مقام التوحيد برمسوه : وهو المقام المنسوب للسيد سعد الدين جباوى رضى الله عنه سأل عنها السيد سعيد الحمزاوى الشيخ بدر الدين السعدى شيخ هذا المقام فأخبره أن والده الشيخ إبراهيم سعد الدين تشرف بهذه الشجرة بالنقل عن والده الشيخ محمد سعد الدين، وهو تلقاها وتشرف بها عن والده الشيخ محمد الأمين الشهير ببنى سعد الدين، وهكذا بالتسلسل عن أجدادهم . وأوقات زيارتها يوم المولد النبوى وليلة المعراج وليلة ٢٧ رمضان وهو ما كان عليه عمل الأجداد والأسلاف . وفي هذه الشجرة يقول الأستاذ الأكبر العلامة السيد محمود الحمزاوى مفتى الشام المتوفى سنة ١٣٠٥ :

شرف المحل بقدر من قد حله أمر بديهى الثبوت بلا خفا
ولذلك المحراب نخر شامخ إذ حل فيه شريف شعر المصطفى
وقد نقشاً على العتبة العليا من مقام هذه الشجرة سنة ١٢٩٢، وكان رحمه الله يتولى إخراجها فى المواسم فيزورها الحاضرون وهي بيده ثم يعيدها إلى لفائفها ويرفعها إلى مكانها .

شعرة بيت المقدس : لها خازن خاص غير الخطيب والإمام ، والراجح أنها جلبت إليه قديماً ، وخازنها اليوم من أسرة الشهابي ، وميعاد زيارتها في ٢٧ رمضان .

شعرناه بعل وحبفا : من البلاد الفلسطينية ، وكانت بالقسطنطينية من شعرات الأمانات المباركة ، فأهداها السلطان محمد رشاد لهذين البلدين ، لحفظت إحداها بمسجد أحمد باشا الجزار بعكا ، والثانية بالجامع الكبير بحيفا ، وميعاد زيارتهما في ٢٧ رمضان .

ثلاث شعرات بصفر وطبرية والناصره : من البلاد الفلسطينية ، وكانت مفرقة ببعض مساجد القسطنطينية ، ونقلت إلى هذه البلاد بأمر السلطان محمد رشاد ، لحفظت واحدة بمسجد غار يعقوب بصفد ، والثانية بالمسجد العمري بطبرية ، والثالثة بالمسجد المنسوب لعلی باشا بالناصره ، وعلى باشا هذا هو والد عبد الله باشا وإلى صيدا الذي أسره إبراهيم باشا ابن العزيز محمد علي في إغاراته على البلاد الشامية . ثم سرقت شعرة الناصرة من المسجد إبان الحرب العظمى التي بدأت في أواخر سنة ١٣٣٢ هـ . والسبب في نقل هذه الشعرات الثلاث من المساجد أن السلطان رشاداً لما أهدى الشعرتين لعكا وحيفا طلب أهالي هذه البلاد الثلاثة إهداءهم أيضاً من هذه الشعرات للتشرف والتبرك بها ، فأمر بإهداءها لهم من التي بالمساجد لأنه خشي من موالاة الإهداء من شعرات الأمانات أن تقل ثم لا يبقى منها شيء . وجميع الشعرات المهداة من هذا السلطان جعلت في أنابيب من الزجاج ترى منها بالعين في غاية الوضوح ، وكل أنبوب ملفوف بأربعين قطعة

من الحرير مختلفة الألوان وموضوع في صندوق صغير يحفظ طول السنة في خزانة من الحديد ، وميعاد زيارتها كل عام في ٢٧ رمضان بعد صلاة العصر .

شعرناه بطرابلس الغرب : أفادنا عنهما حضرة الفاضل الشيخ الطاهر أحمد الطرابلسي الزاوي نسبة إلى الزاوية الغربية وهي حوزة بطرابلس الغرب تجمع عدة قرى — (إحداها) بمدينة طرابلس بجامع طور غود باشا في مقصورة غاية في الحسن بالجهة الشرقية من الجامع عن يسار الداخل ، وهي في قارورة من زجاج مستديرة ملفوفة بقطع من الحرير ومحفوظة في صندوق من الآبنوس ، ويحتفل بزيارتها في ليلة النصف من شعبان وليلة المعراج ، فيتهافت الناس على تقبيلها للتبرك . والمتولى الإشراف عليها نقيب الأشراف ، وهو الذى يحملها بيده ويناولها للزائرين ، وله مرتب من الأوقاف على ذلك ، ويقال إنها كانت بالقسطنطينية ، فنقلها أحمد راسم باشا إلى طرابلس . (والثانية) بينى غازى فى جامع راشد باشا المشهور بجامع عثمان ، وقد نقلت إليه من الجامع الكبير ، وجعلت فى مقصورة بأعلى الجامع من الداخل فى الجانب الشرقى . وهى أيضاً فى زجاجة ملفوفة بلفائف من الحرير ، ومحفوظة فى صندوق من الآبنوس ، ويحتفل بزيارتها فى المواسم المتقدم ذكرها ، ويتولى الإشراف عليها المفتى .

شعره فى موه بال بالهرند : أهدها السلطان محمد رشاد لملكة بهو بال

سلطان جهان بيك^(١) بنت ملكتها شاه جهان بيك ، لما زارته في رحلتها إلى أوربة والقسطنطينية . أخبرنا الأديب الفاضل السيد أبو النصر أحمد البهوبالى نزىل القاهرة ، أنها لما عادت إلى بهوبال ، احتفلت بنقل هذه الشعرة إلى الجامع الأعظم لتحفظ به ، فوضعت بلقائفها في صندوق ثمين حملة ولدها ملك بهوبال الآن على رأسه ، فتكأ الناس عليه للتبرك بلمس الصندوق ولم يخلص إلى المسجد إلا بعسر ، ثم إنهم احتفلوا بزيارة هذه الشعرة بالمسجد مرة واحدة ، ثم أبطلت الزيارة لاعتراض بعض العلماء وبقيت في صندوقها محفوظة بالمسجد إلى اليوم .

هذا ما تيسر لنا الوقوف عليه من خبر الشعرات المنسوبة إلى سيد الوجود صلى الله عليه وسلم ، والله سبحانه أعلم بالصحيحة منها وغير الصحيحة .

(١) سلطان جهان اسمها ومعناه سلطنة العالم وكذلك اسم أمها شاه جهان معناها سلطنة العالم أو ملكة العالم . وأما بيك فلقب تكريم يذكر بعد الاسم ومعناه الأميرة لأنه مؤنث بيك بمعنى أمير ، وهو الذى تقول فيه عامه مصر (بيه) بالهاء بدل الكاف وبالإمالة ، ومثل بيك خانم فإنه مؤنث خان بمعنى الحاكم أو الأمير أو السيد العظيم ومازال مستعملا بمصر لقب تكريم لنساء الأسر الرفيعة يلحق بأسمائهن . غير أنهم قبلوا خاءها في النطق فقالوا فيه هانم ، وهذه اليم علامة للتأنيث في التركية تلحق ببعض الكلمات .

العلم النبوى

كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم عدة ألوية ورايات ، منها ما كان خاصا ، ومنها ما كان يعقده لأمرأء جيوشه وسراياه . وقد تتبعنا ماورد عنها فى التاريخ فلم نعثر على ذكر شىء منها بقى بعد زمن النبوة إلا ما يذكرونه عن الراية المسماة بالعقاب ، وهذا ما وقفنا عليه عنها :

جاء فى مادة (عقب) من لسان العرب : « والعقاب علمٌ ضخم ، وفى الحديث أنه كان اسم رايته عليه السلام العقاب ، وهى العلم الضخم ، والعرب تسمى الناقة السوداء عقاباً على التشبيه ، والعقاب الذى يعقد للولادة شبه بالعقاب الطائر ، وهى مؤنثة أيضاً » . اهـ . وقال ابن سيد الناس فى سيرته المسماة بعيون الأثر فى باب ما كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم من السلاح والدروع والرايات ما نصه : « وراية سوداء مربعة يقال لها العقاب ، وراية بيضاء يقال لها الزبنة وربما جعل فيها الأسود . وروى أبو داود فى سننه من حديث سماك بن حرب عن رجل من قومه عن آخر منهم ، قال : رأيت راية رسول الله صلى الله عليه وسلم صفراء^(١) . وروى أبو الشيخ بن حيان من حديث ابن عباس قال : كان مكتوب على راياته : لا إله إلا الله محمد رسول الله ، وقال الحافظ الدمياطى قال يوسف

(١) فى حاشية البرهان الحلبي على هذه السيرة مانصه : « انفرد به أبو داود وأخرجه فى الجهاد » .

ابن الجوزي^(١) روى أنَّ لواءه^(٢) أبيض مكتوب فيه : لا إله إلا الله محمد رسول الله . ا. ه .

وفي الكامل لابن الأثير ومعجم البلدان لياقوت أن خالد بن الوليد رضى الله عنه لما سار من العراق لفتح الشام ووصل إلى الثنية المشرفة على غوطة دمشق كان ناشر أرايته ، وهى راية كانت لرسول الله صلى الله عليه وسلم تسمى العقاب ، فوقف عليها ساعة فسميت ثنية العقاب ، وقيل سميت بعقاب من الطير سقطت عليها والأول أصح . انتهى ملخصاً منهما . وجاء عنها فى آثار الأول فى ترتيب الدول أنها كانت سوداء وأنها ركزت على جبل دمشق على الثنية فسميت بها وهى ثنية العقاب . وفى تاريخ يعقوبى مانصه : « وروى بعضهم أن خالد بن الوليد سار إلى غوطة دمشق ثم فرعها إلى ثنية ومعه راية بيضاء^(٣) تدعى العقاب فيها سميت ثنية العقاب » .

قلنا : ومن عند خالد بن الوليد انقطع خبر هذه الراية فى التاريخ ، فلم نقف على انتقالها أو انتقال غيرها من الرايات النبوية إلى أحد من الخلفاء أو الملوك سوى ما يدعيه الترك فى اللواء المحفوظ مع الآثار القسطنطينية ومارواه الجبرتى عن لواء آخر سمته العامة بمصر بالبيرق النبوى .

(١) فى حاشية البرهان الحلبي أن المراد الواعظ المؤرخ أبو المظفر يوسف المعروف بسبط ابن الجوزى صاحب مرآة الزمان المتوفى سنة ٦٥٤ .

(٢) ذكر البرهان الحلبي عن أبى ذر الفرق بين اللواء والراية بأن اللواء ما كان مستطيلاً والراية ما كان مربعاً .

(٣) شذ يعقوبى فى جعلها بيضاء ، فإن من ذكر لون العقاب من المؤرخين ذكر أنها كانت سوداء .

لواء القسطنطينية

تقدم في الآثار التي بالقسطنطينية ذكر لواء زعموا أنه من الأولوية النبوية ، وقد بينا هناك أن في هذه الآثار ما يحتمل أن يكون صحيحاً وإنما توقفنا فيها لأننا لم نر لها ذكر آ في رواية لأحد الثقات يمهّد للنفس سبيل الاطمئنان إليها . ولم يفصح مؤرخو الترك عن لون هذا اللواء ولا ذكروا شيئاً من صفته ولا ما كتب عليه ، وإنما يروون من خبره أن بني عثمان كانوا يحرسون عليه حرصهم على بقية الأمانات المباركة ، وأنهم اضطروا إلى إخراجهم ونشره في بعض الفتن ليتألفوا به الأمة كما حدث في قيام اليكيجرية على السلطان أحمد بن محمد المعروف بأحمد الثالث المتولى سنة ١١١٥ هـ فإنه اضطُر إلى إخراجهم وركزه بباب القصر وبث المنادين في الأهالي بالاجتماع عنده ولكنه لم يوفق في قمع الفتنة وانتهى الأمر بخلعهم . وحدث في قيام اليكيجرية على السلطان سليمان بن إبراهيم المتولى سنة ١٠٩٩ هـ بسبب نفقة البيعة أن أحد التجار ممن نهبت أمتعتهم أراد أن يحتال في تأليب العامة عليهم فعمد إلى رمح عقد عليه شقة من البز الأبيض موهاً أنه اللواء النبوي أخرج من القصر ، وتسامعت العامة به فتجمعت والتفت حوله . ولما أراد السلطان محمود بن عبد الحميد الملقب بالثاني إبادة اليكيجرية وتحليص الدولة من أذاهم اضطُر إلى إخراج اللواء من الأمانات ليقوى به نفوس شيعته ويكثر سوادهم بمن يلتف من العامة حوله ، قال المولى محمد أسعد قاضي القسطنطينية في كتابه (أس ظفر^(١)) الذي ألفه بالتركية في هذه الحادثة

(١) اسم هذا الكتاب تاريخ بالجلل للحادثة أي سنة ١٢٤١ هـ وقد طبع بالقسطنطينية سنة ١٢٤٣ هـ

إن السلطان لما أراد الزحف عليهم أخرج اللواء النبوى من حجرة الخرقه الشريفه وسلمه للصدر الأعظم وشيخ الإسلام . وقد فصل غيره من مؤرخى الترك هذا الخبر بأنهم لما أعلنوا بالعصيان أسرع الصدر الأعظم وعلماء الدولة وكبرائها إلى قصر بشكطاش مقر السلطان وأعلموه بالخطب وانتقلوا معه إلى قصر طوبقبو الذى به الأمانات وتضرعوا إليه بإخراج اللواء الشريف فاستعظم الأمر وتمنع خشية من عطب يصيبه ثم مازالوا به حتى رضى وذهب إلى حجرة الأمانات فأخرجه وحمله إليهم وهو يبكى وسلمه للصدر الأعظم وشيخ الإسلام فذهبا به إلى أت ميدان^(١) ومعهما المدفعية من جنود النظام الجديد لقتال أولئك البغاة ولما وصلوا إلى الميدان تقدم قاضى استنبول وصاح قائلا : من اختار اليكيجرية فليذهب إلى مراجلهم^(٢) ومن اختار الإسلام فليضو إلى السنجق الشريف^(٣) فأسرع أغلب الناس للانضمام إلى اللواء . ثم أطلقت المدافع على اليكيجرية وثكنتهم

(١) أت ميدان بتقديم المضاف إليه على المضاف كالقاعدة فى التركية معناه ميدان اللحم لأنهم كانوا يوزعون فيه اللحم على اليكيجرية وكانت ثكنتهم مظلة عليه وقد أوردته بهذا المعنى شمس الدين سامى فى معجمه التركى ولكنه أوردته فى قاموس الأعلام بلفظ (آت ميدان) بعد أوله على أن معناه ميدان الخيل لأنهم كانوا يروضون فيه المهارى ويدربونها .

(٢) كان من عادة اليكيجرية عند العصيان أن يقلبوا فى الميادين مراجلهم التى يطبخون فيها طعامهم كأنهم يشيرون بذلك إلى رفضهم أكل طعام الدولة وخدمتها .

(٣) السنجق أو السنجاق فى التركية اللواء وكان يطلق فى مصر على الكبير الحائز لرتبة أمير اللواء من أمراء الجراكسة الذين كانوا يحكمونها مدة العثمانيين ، والظاهر أن أصله أمير سنجق ثم خفف بحذف جزئه الأول ، كما يقال الآن للبasha من الجندلواء وأصله أمير لواء ..

فهدمت عليهم وكتب إلى الولايات بآبادتهم فأيدوا عن آخرهم . وقد وهم البستاني في دائرة المعارف ومحمد فريد بك في تاريخ الدولة العلية العثمانية في زعمهما أن السلطان سار بنفسه مع جند المدفعية إلى أت ميدان وهو قول لم يقله أحد من مؤرخي الترك ولاسيا المشاهدين منهم للحادثة ، والصواب أنه بقي بالقصر وأرسل الصدر الأعظم وشيخ الإسلام واللواء والجنود كما ذكرنا .

اللواء الذي سموه بمصر البيرق النبوى^(١)

وهو علم كبير من الأعلام التي كانت بالقلعة أخرجه السيد عمر مكرم تقيب الأشراف للعامة عند قيامهم لدفع الفرنسيين عن القاهرة فسموه بالبيرق النبوى ، والظاهر أن بعض قادتهم اختلق لهم ذلك ليزيد في تحمسهم فاعتقدوه . وملخص خبر هذه الواقعة أن الفرنسيين لما قصدوا الاستيلاء على مصر سنة ١٢١٣ كان عليها وال عثمانى ليس له من الأمر شيء على عادة ولاتهم بها ، وكان يحكمها كبيران من الجراكسة مشاركة وهما إبراهيم بك الكبير ومراد بك والتصرف في أغلب الأمور لمراد بك ، وكان أخرق رهقا من شر أمرائهم وأضرهم بظلم الرعية وأجبنهم عند اللقاء . فمن مساويه في ذلك أنه خرج قبل مجيء الفرنسيين للتنزه في الريف أى الوجه البحرى فعات فيه وأخفش في القتل والنهب وإحراق القرى وتشتيت سكانها ، ثم عاد إلى القاهرة ظافرا مملوء الوفاض بالغنائم بعد أن غادر أكثر قراه بيابا

(١) البيرق لفظ تركى وأصله في هذه اللغة يراق أو ييراق ومعناه اللواء والراية .

فلم يلبث أن بلغه نبأ احتلال الفرنسيين للإسكندرية في المحرم من تلك السنة وشروعهم في الزحف على القاهرة، فخرج إليهم بجنوده من الجراكسة وغيرهم والتقى بهم جهة الرحمانية بالبحيرة فلم تكن غير مناوشات هينة نكص فيها على عقبه إلى جهة امبابه بالشاطيء الغربى للنيل تجاه القاهرة وأخذ يتحصن بها فلحقه الفرنسيين فلم يقو على لقاءهم وانهمزم هو وجنده في أقل من ساعة وفر إلى الصعيد وفر الوالى العثمانى وإبراهيم بك إلى جهة الشام وتشتت بقية الأمراء وتركوا الشياخ للذئاب. وكان أهالى القاهرة قاموا قياما محموداً أبانوا فيه عن نخوة وحمية وسخاء بالنفوس والأموال وساروا إلى بولاق بالشاطيء الشرقى لمساعدة الجنود فلما وقعت الهزيمة حوّل الفرنسيين الرمى إلى هذا الشاطيء فشتتوهم ودخلوا القاهرة يوم الثلاثاء العاشر من صفر.

وهذا نص ما ذكره الجبرتى عن قيام الأهالى ومسيرهم بهذا العلم إلى بولاق قبل ذلك بأسبوع أى فى يوم الثلاثاء ٣ صفر سنة ١٢١٣: «وفى يوم الثلاثاء نادوا بالنفير العام وخروج الناس للمتاريس وكرروا المناداة بذلك كل يوم فأغلق الناس الدكاكين والأسواق وخرج الجميع لبر بولاق فكانت كل طائفة من طوائف أهل الصناعات يجمعون الدراهم من بعضهم وينصبون لهم خياماً أو يجلسون فى مكان خرب أو مسجد ويرتبون لهم قىما يصرف عليهم ما يحتاجون له من الدراهم التى جمعوها من بعضهم، وبعض الناس يتطوع بالإتفاق على البعض الآخر ومنهم من يجهز جماعة من المغاربة أو الشوام بالسلاح والأكل وغير ذلك بحيث إن جميع الناس

بذلوا وسعهم وفعلوا ما في قوتهم وطاقتهم وسمحت نفوسهم بإتفاق أموالهم فلم يشح في ذلك الوقت أحد بشيء يملكه، ولكن لم يسهفهم الدهر وخرجت الفقراء وأرباب الأشرار بالطبول والزمورو الأعلام والكاسات وهم يضحجون ويصيحون ويذكرون بأذكار مختلفة، وصعد السيد عمر أفندي نقيب الأشراف إلى القلعة فأنزل منها بيرقا كبيرا أسمته العامة البيرق النبوي فنشره بين يديه من القلعة إلى بولاق وأمامه وحوله ألوف من العامة بالنبايت والعصى يهلمون ويكبرون ويكثرون من الصياح ومعهم الطبول والزموور وغير ذلك». اهـ.

قلنا: وما زال في عوام المصريين من يعتقد بأن العلم العثماني ذا الهلال والنجم متخذ على مثال العلم النبوي، ولهذا تضاعف تألمهم لما غير في مصر بالعلم ذي الأهلة والأنجُم الثلاثة بعد إعلان انفصالها من الدولة العثمانية إبان الحرب الكبرى الواقعة أواخر سنة ١٣٣٢ هـ، ولعل منشأ هذا الاعتقاد ظنهم أن شارات دولة الخلافة تقتبس عادة من شارات نبوية.. على أنهم في ذلك ليسوا بأوغل في الوهم من كثير من خاصة المسلمين وعامتهم في عدم الهلال رمزاً دينياً له عند المسلمين ما للصليب عند النصارى، وما كان قط كذلك، وإنما حجب إلى مسلمي العصور الأخيرة وعظم لديهم لكونه شارة للعلم في آخر دولة أدركوها من دول الخلافة.

الركاب النبوي

لم نقف إلا على خبر ركابين قيل إنهما نبويان ، أحدهما كان عند علاء الدين الخلاطى ، والثانى كان عند الملك الناصر صلاح الدين الأيوبي من ذرية صلاح الدين الكبير . أما الأول فمذكور فى ترجمة الخلاطى بالدرر الكامنة للحافظ بن حجر العسقلانى ، ونصها : « على بن محمد بن الحسن الخلاطى الحنفى علاء الدين الملقب بالقادوسى ^(١) أطول تكوير عمامته ، ويعرف أيضاً بمزلقان ، وكان يقال له الركابى لأنه كان يزعم أن عنده ركاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان يزعم أيضاً أن عنده من شعره ، وتفقه واشتغل وتقدم ودرس بالظاهرية وولى إمامتها ، وهو أول من أمم بها ودرس بالديلمية ، وكتب على الهداية شرحاً ، وناب فى الحكم عن معز الدين نعمان بالحسينية ، ومات فى النصف من جمادى الأولى سنة ٧٠٨ » .

وأما الثانى فرأيتُه مذكوراً فى جزء عندى قديم الخط من تاريخ لبغداد لم أعرف اسمه ولا اسم مؤلفه ، جاء فيه فى حوادث سنة ٦٥٢ ما نصّه : « وفيها أرسل صلاح الدين ابن أيوب صاحب دمشق وحلب إلى الخليفة المستعصم رسولا معه فردة ركاب كبيرة من حديد قد ذكر أنها ركاب

(١) لقب بذلك لأن عمامته كانت تشبه القادوس ، وهو إناء من الفخار مستطيل أصغر من الجرة معروف بمصر يخرج به الماء فى الدواب لسقى الأراضى .

النبي صلى الله عليه وسلم ، وأنها عند بنى أيوب يحفظونها كما يحفظ بنو العباس البردة الشريفة ، فقبلها الخليفة وجعلها في خزانته مع البردة والقضيب^(١) ، فأنشد أبو المعالي القاسم بن أبي الحديد ارتجالاً :
لو كنت في زمن النبي محمد من آلِه أو كنت من أصحابه
ما رام قلبي غير ثم ركابه شرفاً وقد بلغت ثم ركابه «
انتهى . وصلاح الدين المذكور هو الملك الناصر صلاح الدين يوسف ابن الملك العزيز محمد بن الملك الظاهر غازي ابن السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب الكبير . كان ملكاً حلب ، ثم استولى على دمشق وأضافها إلى مملكته سنة ٦٤٨ ، وجعلها مقرّ ملكه ، وكان سمحاً جواداً حسن الأخلاق ، غير أنه لما بلغت كائنة هلاكه ببغداد وقتله للخليفة هرب من دمشق ، وكان اجتمع له فيها عساكر كثيرة تناهز المائة ألف فترك الجميع وهرب ، ثم أحسن الظن بالمغول واتصل بهم فاستصحبوه معهم ثم غدروا به وقتلوه شرقتة سنة ٦٥٨ انتهى ملخصاً من تحفة الأحباب فيمن حكم دمشق من الخلفاء والملوك والنواب للصفدى ، ومن عيون التواريخ لابن شاكر .

(١) هذا من الأدلة الثابتة لبقاء القضيب والبردة عند العباسيين إلى زمن آخر خليفة منهم ببغداد .

النعل النبوية

النعل التي كانت عند السيدة عائشة : ذكرها العلامة الأديب أحمد بن محمد

المقرئ ، مؤلف نفع الطيب في كتابه فتح المتعال في مدح النعال ، الذي ألفه في مثال النعل النبوية وما قيل فيها ، وقد أورد لها عدة أمثلة أقواها في الصحة مثالان : ذكر أن الأول منهما حذى على نعل نبوية كانت عند أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها ، وأن هذا المثال ^(١) هو معتمد عدّة من الأئمة الثقات : كأبي بكر بن العربي ، وابن عساكر ، وابن مرزوق ، والفارقي ، والبلقيني ، والسخاوي ، والسيوطي ، وابن فهد ، وغيرهم . وأتى على ما يثبت ذلك من الروايات بأسانيدها . ثم صارت هذه النعل الشريفة لإسماعيل بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن أبي ربيعة المخزومي . وسبب ذلك على ما رواه عن الثقات أنها كانت عند عائشة رضي الله عنها ، ثم صارت من قبلها إلى أختها أم كلثوم بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنهما ، وكانت أم كلثوم تحت طلحة بن عبيد الله ، فلما قتل يوم الجمل خلفه عليها عبد الله ^(٢) بن عبد الرحمن بن أبي ربيعة المخزومي ، وهو جدّ إسماعيل المذكور الذي كانت عنده النعل . ثم ذكر نعلا أخرى كانت بالمدينة ،

(١) كان بعضهم يحذو على النعل الشريفة نعلا يحفظها ليحذو عليها غيره ، وبعضهم يجعل المثال مخطوطاً على الورق .

(٢) ذكر المقرئ أنه رأى في بعض الروايات أن الذي خلف طلحة على أم كلثوم هو عبد الرحمن ، والذي تبين له أنه ابنه عبد الله لأدلة ذكرها .

عند فاطمة بنت عبد الله بن عباس رضي الله عنهما ، ولم يفصح عما صار إليه أمر هاتين النعلين بعد ذلك .

نعل ثلث بالأسرفية برمسوه : ذكروا أنها كانت عند بنى أبي الحديد يتوارثونها ، ثم صارت للملك الأشرف موسى بن العادل الأيوبي ، فجعلها في دار الحديث الأسرفية التي أنشأها بدمشق^(١) . وقد أشار إليها ابن كثير في البداية والنهاية ص ٦ في كلامه على النعل النبوية بقوله : « واشتهر في حدود ستائة وما بعدها عند رجل من التجار يقال له ابن أبي الحديد نعل مفردة ، ذكر أنها نعل النبي صلى الله عليه وسلم ، فسامها الملك الأشرف موسى ابن الملك العادل أبي بكر بن أيوب المذكور ، فأخذها إليه وعظمها ، ثم لما بنى دار الحديث الأسرفية إلى جانب القلعة ، جعلها في خزانة منها ، وجعل لها خادماً ، وقرّر له من المعلوم كل شهر أربعين درهما ، وهي موجودة إلى الآن في الدار الأسرفية » .

(١) في كتاب منادمة الأطلال ومسامرة الحيال في مدارس دمشق ومساجدها لعصرينا العلامة عبد القادر بن أحمد بن مصطفى الشهير بابن بدران المتوفى بدمشق في ربيع الثاني سنة ١٣٤٦ أن المدرسة الأسرفية المذكورة باقية إلى اليوم في أوائل سوق العسرونية من الجانب الغربي ، وقد وصف حالتها التي هي عليها الآن وما جدد بها وذكر أنه كان يسكن بها في غرفة علوية أثناء طلبه للعلم وألف بها بعض كتبه . وفي وفيات الأعيان لابن خلكان أن الملك الأشرف المذكور ولد سنة ٥٧٨ وأول شيء ملكه أمرها سيره إليها والده ثم ملك حران وغيرها . ولما توفى أخوه المعظم وقام بعده ولده الناصر داود ملك الأشرف منه دمشق وجعلها مقر ملكه وبنى بها دار الحديث وتوفى بها سنة ٦٣٥ وكان ملكاً حليماً كريم الأخلاق محباً لأهل الخير والصالح ميموناً مؤبداً في الحروب .

ونقل سبط ابن الجوزى فى مرآة الزمان (ج ٨ ص ٤٧١) خبر مصير هذه النعل إلى الأشرفية عن الملك الأشرف نفسه فقال فى ترجمته الواردة فى وفيات سنة ٦٣٥ ما نصه : « وكنت عنده بخلاط ، فقدم علينا النظام ابن أبى الحديد ومعه نعل النبى صلى الله عليه وسلم ، فعرفته بقدمه فقال يحضر ، فلما دخل عليه ومعه النعل قام قائماً ونزل من الإيوان وأخذ النعل فقبلها ووضعها على عينيه وبكى ، وخلع على النظام وأعطاه نفقة وأجرى عليه جراية ، وقال : تكون فى الصحبة تنبرك بك . وانفصلت عن خلاط ، وأقام عنده ، فبلغنى أنه قال : هذا النظام يطوف البلاد وما يقيم عندنا ، وأنا أوثر أن يكون عندى قطعة منها ، ثم بات يفكر ورجع عن ذلك الخاطر ، ولما أخذ دمشق حكى لى قال : عزمت على أخذ قطعة منها ، فقلت : ربما يحىء بعدى من يفعل مثل فعلى فيتسلسل الحال ويؤدى إلى استئصالها بالمرّة ، فتركها وقلت من ترك شيئاً لله عوضه الله أمثاله ، ثم أقام عندى النظام شهوراً ، واتفق أنه مات وأوصى لى بالنعل فأخذت النعل بأسرها . ولما فتح دمشق اشترى دار قياز النجمى وجعلها دار حديث وترك النعل فيها ، ونقل إليها الكتب الثمينة ، وأوقف عليها الأوقاف الكثيرة » اهـ . وذكر المقرئ فى فتح المتعال رجلاً اسمه أحمد من بنى أبى الحديد الذين كانوا يتوارثون هذه النعل رأى اسمه فى استجازة من الشيخ المحذث أبى عبد الله البرزالى تاريخها سنة ٦٠٩ منعوتاً بصاحب نعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ^(١) . ثم نقل عن تاريخ البدرى فى الملك

(١) الراجع أنه الملقب بالنظام نفسه فسيأتى أن اسمه أحمد وأنه ولد سنة ٥٦٠ وتوفى سنة ٦٢٥ .

الأشرف ما صورته : « وقد كان شجاعاً كريماً جواداً محباً للعلم وأهله ، لا سيما أهل الحديث ومنادمة^(١) الصالحين ، وقد بنى لهم دار الحديث بالسفح » إلى أن قال : « وجعل فيها نعل النبي صلى الله عليه وآله وسلم الذى ما زال حريصاً على طلبه من النظام ابن أبى الحديد التاجر » .
وممن ذكره العلماء واجتمعوا به من بنى أبى الحديد أبو الحسين ابن أبى الحديد ، ذكره ابن عساكر فى تاريخ دمشق ، وملخص ما نقله عنه المقرئ فى التعريف به أنه أبو الحسين عبد الرحمن بن عبد الله بن القاسم ابن الحسن بن عبد الله بن أبى الحسن أحمد بن أبى الفضل عبد الواحد ابن أبى بكر محمد بن أحمد بن عثمان بن الوليد بن الحكم بن سليمان المعروف بابن أبى الحديد السامى الخطيب كان شيخاً صالحاً سليم الجانب سديد السيرة من بيت الحديث والخطابة ، وكان جدّه الأعلى أبو الحسن ابن أبى الحديد من مشهورى الحديثين . قال ابن عساكر سمعت عنه بدمشق أجزاء ودخلت داره المليحة وقرأت عليه ، ورأيت نعل النبي صلى الله عليه وآله وسلم معه ، وكانت ولادته فى جمادى الأولى سنة ٤٦٤ ، بدمشق ووفاته بها نهار يوم السبت مستهل جمادى الآخرة من سنة ٥٤٦ ودفن فى مقابر باب الصغير . اهـ^(٢) .

(١) فى نسخة : ومقارنة .

(٢) راجعنا هذه الترجمة فى نسخة تاريخ ابن عساكر التى عندنا فلم نجد فيها ذكرًا للنعل الشريفة والنسخة كثيرة السقط والتحريف لا يعول على ما فيها . وبها أيضاً اختلاف فى نسب عبد الرحمن المذكور عما ذكره المقرئ فإنه بها (عبد الرحمن بن عبد الله بن الحسن بن أحمد) الخ يسقط القاسم ويسقط عبد الله الذى بعد الحسن =

وتقل المقرئ أيضاً كلاماً مفصلاً مفيداً في هذه النعل عن رحلة الحافظ
الرحال أبي عبد الله محمد ابن رُشيد^(١) الفهرى المغربى السبتي المالكي
المسماة: (ملء العيبة مما جمع بطول الغيبة في الوجهة الوجهة إلى الحرمين مكة
وطيبة) يتلخص في أنه قصد زيارة هذه النعل بالمدرسة الأشرفية المذكورة
للتبرك بها والاستشفاء من مرض أصابه فوجد بركتها، ورأى بالمدرسة
يبتين مبنيا في قبلتها أحدهما عن عيين الحراب به نسخ من المصاحف،
والآخر عن يساره فيه النعل الكريمة، وهي فردة واحدة، وقد جعل
لهذا البيت باب مصفح بالنحاس الأصفر كأنه صفائح ذهب، وعلّق
عليه كلال حرير ثلاث خضراء وحمراء وصفراء، ووضعت النعل الكريمة
على كرسى من آبنوس، ثم وضع على النعل لوح من آبنوس، ونقر في
وسط اللوح بمقدار ما ظهرت النعل منخفضة عن اللوح بمقدار النقر،
ولاشك أنه بقي منها تحت أطراف اللوح مقدار ما ثبت به تحت اللوح
وما أخذته المسامير التي طوقت به فإن الدائر المحيط بها كله مكوكب
بمسامير فضة وميلاً ذلك الظاهر منها الذي هو منقور عليه بأنواع الطيب

= وهو الموافق لما في نسخة مخطوطة عندنا في الإصابة للعائظ ابن حجر في ترجمة جده
الأعلى سليمان المعروف بأبي الحديد ولكن جاء في نسخة أخرى مخطوطة عندنا أيضاً في
الإصابة والنسخة المطبوعة بمطبعة السعادة بالقاهرة (عبد الله) بدل عبد الله وليحقق
هذا النسب.

(١) هو محمد بن عمر بن محمد المعروف بابن رشيد مصغر رشد كما في شرح العلامة
الزرقاني على المواهب اللدنية للقسطلاني وله ترجمة في الدرر الكامنة وبقية الوعاة وشذرات
الذهب وكانت ولادته سنة ٦٥٧ ووفاته بفاس سنة ٧٢١. والذي في شرح الزرقاني على
المواهب ٧٣١ ورحلته المذكورة في ست مجلدات.

حتى إن الذى يلثمها يتمرغ فيه فى طيبتها ، وقد وكل بها قيم له عليها مرتب بلغنا أنه أربعمون درهماً ناصرية ، وأمر بفتحها يوم الاثنين ويوم الخميس للناس للتبرك بلثمها . اهـ .

ثم ذكر المقرئ أيضاً أن هذه النعل الشريفة كانت عند أم المؤمنين ميمونة بنت الحارث الهلالية رضى الله عنها مما تركه النبي صلى الله عليه وسلم فتوارثها ورثتها من بعدها إلى أن وصلت إلى بنى أبى الحديد^(١) وما زالوا يتوارثونها إلى آخرهم موتاً ، وأنه ترك ثلاثين ألف درهم وترك تلك النعل وولدين له فتراضيا على أن يأخذ أحدهما المال ويأخذ الآخر النعل الشريفة فصار يذهب بها إلى أرض العجم ويفد على الملوك فيتبركون بها حتى رجع إلى خلاط فطلب منه الملك الأشرف بن العادل أن يقطع له منها قطعة يتبرك بها ثم رجع عن ذلك إلى أن آلت إليه وجعلها فى دار الحديث التى ابتناها بدمشق . ومما أنشده للحافظ ابن رشيد الفهرى فى هذه النعل لما زارها بالأشرفية :

هنيئاً لعينى أن رأيت نعل أحمد فياسعد جدتى قد ظفرت بعقصد
وقبّلتها أشفى الغليل فزادنى فيا عجباً زاد الظما عند مورد
فله ذاك اللثم لهُو الذّ من لما شَفّةٍ لَمِياً وخدّ مورد

(١) أول من وصلت إليه منهم جدهم الأعلى سليمان السلبى المعروف بأبى الحديد صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد جاء فى ترجمته فى الإصابة للحافظ بن حجر أن بنيه ورثوها عنه إلى أن وصلت إلى آخرهم أحمد بن عثمان المتوفى سنة ٦٢٥ ثم صارت للملك الأشرف فجعلها فى الأشرفية بدمشق . قال وقد ذكرها الذهبى وغيره ويعبرون عنها بالأثر الشريف .

ولله ذاك اليوم عيداً ومعاملاً بتاريخه أرّخت مولد أسعد
عليه صلاة نشرها طيّب كما يحب ويرضى ربنا بمحمد
وأنشد للإمام أبي عبد الله محمد بن جابر الوادى آشى قوله لما رآها
بالأشرفية وقبلها :

دار الحديث الأشرفية لى الشفا فيها^(١) رأّت عيناى نعل المصطفى
ولمّتها حتى قنعت وقلت يا نفسى انعمى أ كفاك قالت لى كفى
لله أوقات وصلت بها المنى من بعد طيبة ما أجل وأشرفا
لك يا دمشق على البلاد فضيلة أيامك الأعياد لازمها الصفا
ولكم يحIRON جررت ولم أخف ذىلا وبرح هواى فيها ما اختفى
وأنشد فيها أيضاً أبياتاً دالية للإمام أبى بكر بن محرز تركنا ذكرها
لتحريف وقع بها لم نهتد لصحته .

ومن الحوادث المتعلقة بهذه النعل الشريفة ما وقع بدمشق من نائب
الشام سيف كراى زمن الملك الناصر محمد بن قلاوون ، وذلك أنه قرر على
أهل دمشق ما عجزوا عن أدائه فأغلقوا البلد لأنه أدخل فى هذه المظامة
أهل الأسواق وحواضر البلد وأملا كها وحاراتها وأمر بكتابتها ليوظف
عليها فضج الناس وشكوا إلى القضاة والخطباء والأئمة فتواعد الجميع على
الطلوع إلى النائب المذكور ، فلما كان يوم الاثنين ثالث عشر جمادى الأولى
(أو الأخرى) من عام أحد عشر وسبعائة أخذ الخطيب جلال الدين
القزوينى صاحب تلخيص المفتاح والإيضاح المصحف الكريم العثمانى

ونعل النبي صلى الله عليه وسلم من دار الحديث الأشرفية وأعلام الجامع التي تكون بين يدي الخطباء وخرج من باب الفرج ومعه العلماء والفقهاء والقراء والمؤذنون والأئمة وعامة الناس ، فلما وصلوا إلى النائب واستغاثوا أمر بضربهم وقال للجلال القزويني حين سلم عليه : لا سلم الله عليك ، وضرب النقباء الناس ورموا المصحف العثماني والنعل الشريفة النبوية فعندها رجمهم الناس وأخذوا الجلال القزويني إلى القصر وخلص العوام المصحف والنعل الشريفة والأعلام ودخلوا البلد ، فاتفق بعد عشرة أيام أن عوقب سيف الدين كراي المذكور وقيد وسجن بأمر الناصر محمد بن قلاوون وناله من الإهانة ما ناله جزاء تهاونه بالمصحف الشريف والنعل النبوية وفرج الله عن أهل دمشق وفرحوا بالانتقام الإلهي منه .

مصبر هذه النعل مع نعل أضرى طانت معها برمسوقه : قال المقرئ : « وقد خصت عن أمر هذه النعل الشريفة في زماننا هذا فلم أجد لها عند أحد ممن سألت خبراً ، وأظن أنها ذهبت في فتنة تيمورلنك حين خرب دمشق وأحرقها سنة ثلاث وثمان مائة حسباً هو مشهور . . وقد سئل بعضهم عن تاريخ تخريب تيمورلنك لدمشق ، فقال سنة خراب ، يعني أن لفظ خراب هو التاريخ ، وهذا نحو قوله لما سئل عنه سنة قيامه وثورته ، فقال : سنة عذاب يعني ثلاث وسبعين وسبعائة ، وهاتان تورتان عظيمتان فيهما اتفاق غريب ، يعرف ذلك كل أريب . ثم بعد كيتي لما ذكرته بمدة وقفت على نور النبراس على سيرة ابن سيد الناس للحافظ برهان الدين الحلي رحمه الله ، فإذا فيه نحو ما ذكرته مع زيادة ونصّه : (فائدة) الذي بقي من آثاره

صلى الله عليه وآله وسلم الشريفة الآن فيما نعرفه كان يقي نعلان بدمشق ،
كل فردة في مكان ، واحدة بالأشرفية دار الحديث بقرب القلعة ، أنشدونا
لشيخ الإسلام شيخنا الإمام المحدث أمين الدين الأنقي المالكى^(١) :

وفي دار الحديث لطيف معنى وفيها منتهى أربى وسولى
أحاديث الرسول على تتلى وتقبل لآثار الرسول
والفردة الثانية في الدماغية^(٢) المدرسة المعروفة للشافعية ، ذهبتا في
وقعة تيمورلنك لا يدري أين ذهبتا ، والله أعلم . اهـ .

قلت : الذى ذكره العلامة عبد الباسط بن موسى العالوى في مختصر
تنبيه الطالب وإرشاد الدارس^(٣) (ص ٧) أن تيمورلنك أخذها في تلك
الوقعة ونص ما قال في كلامه على دار الحديث الأشرفية : « وبها نعل النبي
صلى الله عليه وسلم ، وكانت عند الإمام نظام الدين أبى العباس أحمد
ابن عثمان ابن أبى الحديد السلمى مولده بدمشق سنة ٥٦٠ . وكان ورثها
أى النعل بن آبائه وكان الأشرف يقربه ويحمله لأجلها ويؤمل أن يشتريها

(١) هو أمين الدين محمد بن على بن الحسن الشهير بالأنقى بفتح الهمزة والنون
وكسر الفاء المتوفى سنة ٧٨٦ (لحظ الألفاظ لابن فهد ص ١٦٧ — ١٦٨ من مجموعة
ذيول طبقات الحفاظ وشذرات الذهب ص ٥٩٦ ج ٣)

(٢) مدرسة كانت بدمشق مشتركة بين الشافعية والحنفية أنشأتها السيدة عائشة
جدة فارس الدين ابن دماغ سنة ٦٣٨ وهى زوجة شجاع الدين محمود ابن دماغ العادلى
وقد زالت هذه المدرسة وأقيم الآن في موضعها مصنع لعمل النشا ودار للسكنى كما في
منادمة الأطلال لابن بدران .

(٣) اختصر فيه كتاب تنبيه الطالب وإرشاد الدارس لما في دمشق من الجوامع
والربط والمدارس لمحيى الدين عبد القادر العليمى المتوفى سنة ٩٢٧

منه ويضعها في مكان ليزار فلم يسمح بذلك ، وسمح بأن يقطع له قطعة منها فامتنع الأشرف حذراً من التطرق إلى إعدامها ، ثم أقطعه الأشرف وقدر له معلوماً فاستمر كذلك إلى أن توفي سنة ٦٢٥ فأوصى بها للأشرف فأقرها بدار الحديث الأشرفية ، ويقال إنها كانت الفردة اليسرى ، وأن الفردة اليمنى كانت بالمدرسة الدماغية ، ولم تزل إلى زمن تيمور ، فلما دخل دمشق أخذها .

قطعة كانت عند القاضي عبد الباسط : القاضي زين الدين عبد الباسط بن خليل بن إبراهيم (وقيل ابن يعقوب) الدمشقي ثم القاهري ترجمه السخاوي في الضوء اللامع ج ٢ ص ٦٥١ ترجمة طويلة جاء فيها أنه ولد سنة ٧٨٤ بدمشق أو سنة ٧٩٠ أو التي قبلها والأول أشبه وتوفي بالقاهرة سنة ٨٥٤ ودفن في تربته التي أنشأها بالصحراء ونال قسطاً وافراً من الوجاهة والسؤدد في الدولة ، وكان حسن السياسة واسع الكرم اشترى بيت تنكز^(١) وأصلحه وأكمله وسكنه وعمر تجاهه مدرسة بديعة انتهت سنة ٨٢٣ ثم قبض عليه السلطان الملك الظاهر جقمق وأخذ منه قطعة قيل إنها من نعل المصطفى صلى الله عليه وسلم وأهين باللفظ غير

(١) كان من أمراء دولة الناصر محمد بن قلاوون وتولى نيابة دمشق وأنشأ بها جامعاً ثم أشيع أنه يريد العبور إلى بلاد التتار فتنكر له الناصر وقبض عليه وحمل إلى الإسكندرية فقتل بها سنة ٧٤١ ثم نقلت جثته سنة ٧٤٣ إلى دمشق ودفن بجوار جامعہ بشفاة ابنته واستولى الناصر على شيء كثير مما خلفه من المال والجواهر والثياب المطرزة وغير ذلك .

مرة ثم أطلق فحجّ وزار وسافر إلى بعض البلاد وعاد إلى القاهرة مستوطناً لها إلى أن توفي بها .

قلنا : دار تنكز المذكورة لم تزل باقية إلى اليوم بشارع الخرنفش ، وكان يسكنها قاضى القضاة إبراهيم ابن جماعة ثم ملكها القاضى عبد الباسط المذكور وتقلت بعده من مالك إلى آخر حتى اشتراها عباس باشا الكبير قبل تولّيه على مصر فغير معالمها وجدّد بناءها على ماهى عليه الآن وسمّاها بالإلهامية نسبة لولده إلهامى باشا ثم اشتراها خليل باشا يكن من تركة إلهامى باشا ثم اشتراها منه عزيز مصر الخديو إسماعيل وأنعم بها على السادة البكرية شيوخ مشايخ الصوفية لما أخذ دارهم التى كانت على بركة الأزبكية عند تنظيم شوارعها ، وما زالت إلى اليوم للبكرية يسكنونها ، والمدرسة التى بناها القاضى تجاهها ذكرها المقرئى فى الجوامع باسم الجامع الباسطى وهو باق أيضاً إلى اليوم ويعرف بجامع القاضى عبد الباسط وجامع عباس باشا لتجديده بعض بنائه وبه قبر الشيخ أحمد بن خليل السبكى المتوفى سنة ١٠٣٢ وكان يتولّى الإمامة والخطابة به . وأما القطعة من النعل الشريفة فقد فصل المقرئى خبرها فى تاريخه المسمى بالسلوك لمعرفة دول الملوك ونقله عنه المقرئى بمعناه فى فتح المتعال فقال :

« ذكر المقرئى المؤرخ المصرى رحمه الله فى تاريخه المسمى بالسلوك مامعناه أن السلطان سيف الدين جقمق لما غضب على القاضى زين الدين عبد الباسط وأمر بحمله فى البرج دخل عليه والى القاهرة وأمره أن يخلع جميع ما عليه

من الثياب فإنه نقل للسلطان أن معه اسم الله الأعظم ، ولذلك كان كلما تم بعقوبته صرفه الله عنه فخلع جميع ما كان عليه من الثياب والعمامة ومضى بها إلى الوالى وبما فى أصابع يديه من الخواتم فوجد فى عمامته قطعة أديم ذكر لما سئل عنها أنها من نعل النبي صلى الله عليه وسلم وعلى آله وسلم . انتهى المقصود منه . ولعلها كانت من التى بالأشرفية بالشام ، وكان لهذا القاضى الجاه العريض والتصرف فى مملكة الإسلام بمصر والشام وما يليهما فلا يبعد أن يحصل له ذلك منها أو من غيرها من النعال النبوية التى كانت يتوارثها من خصه الله بها والله أعلم » اهـ . ما ذكره المقرئ .

النعل الشريف الذى برار الشرفاء الطاهريين بفاس : ذكر عصرنا العلامة محمد بن جعفر بن إدريس الكتانى المتوفى سنة ١٣٤٥ فى كتابه سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس عن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس (ج ١ ص ٣٤٣) فى ذكر من اشتهر من صلحاء حومة الجزيرة وما أضيف إليها دار الشرفاء الطاهريين التى بها النعل الشريف النبوية ، فأثرنا نقل كلامه بنصه وإن طال لما فيه من الفوائد التاريخية ، قال رحمه الله :

« اعلم أن من مزارات هذه الحومة دار الشرفاء الطاهريين الصقليين التى بدرب أبى بكر وهى الأولى عن يمين الداخل إليه من جهة مصمودة لأن بها الآن نعل رسول الله صلى الله عليه وسلم الشريف التى كان يلبسها فى رجله الشريف بعينها وذاتها ، وكانت قبل بدار أخرى كانت لهم بدرب الدرج من حومة درب الشيخ ، ثم نقلوها إلى هذه وهى فى ربيعة فى جوف صندوق فى مكان مرتفع فى غرفة بأعلى الدار المذكورة معظمة محترمة

وعندهم الشهادة بخطوط أئمة كبار أنها نعل رسول الله صلى الله عليه وسلم .
وفي الإشراف في ترجمة الشرفاء المذكورين مانصه : وبأيدي أصحاب الترجمة
من الآثار النبوية والمتبركات المصطفوية نعلا الرسول صلى الله عليه وسلم
الكريمتان اللتان كانتا بقدميه الشريفتين شاع خبرهما منذ أعوام ، ولهج
بذلك الخااص والعام قال الوالد قدس سره في نظمه عقود الفاتحة :

ومنهم سادة أبدت صِقلية^(١) مجلائهم وغدت من بعد في ظلم
وشعبة منهم لهم نعلهم يرى هلال السماء فاتحاً لهم
وفي تأليف للشيخ الإمام الأوحى أبي مالك سيدى عبد الواحد بن محمد
الفاسى فى السلالة الصقلية سماه غاية الأمنية وارتقاء الرتب العلية فى ذكر
الأنساب الصقلية ذات الأنوار البهية السنية ، لما تعرض لذكر بنى طاهر
عقب الشريف الولى الجليل الأحظى الكفيل الأثيل ذى القدر السامى
والفضل الجلى أبى العباس أحمد بن على المتوفى سنة ثلاث وتسعين وألف
مانصه : وسيدى أحمد بن على المذكور هو الذى كان حائزاً بداره التى بدرب
الدرج من عدوة فاس الأندلسى^(٢) للنعلين السكرىمتين اللتين لبسهما جده

(١) فى معجم البلدان لياقوت : «صقلية ثلاث كسرات وتشديد اللام والياء أيضا
مشددة» انتهى فتخفف الناظم بإءها هنا للوزن .

(٢) أحد قسمى فاس لأن الإمام إدريس بن إدريس بن عبد الله بن الحسن بن
الحسن بن على بن أبى طالب رضوان الله عليهم المولود سنة ١٧٧ والمتوفى سنة ٢١٣ لما
أراد إحداث فاس جعلها مدينتين متصلتين إحداها عدوة الأندلسيين وكان تأسيسها
سنة ١٩٢ والثانية عدوة القرويين وكان تأسيسها سنة ١٩٣ وسميت عدوة الأندلس
بمن نزلها من الأندلسيين الذين أجلاهم الحكم بن هشام عن الأندلس وسميت عدوة
القرويين لأن أول من نزل بها مع الإمام إدريس ثمانية بيوتات من أهل القيروان
انتهى مستفادا من كتاب جذوة الاقتباس ص ٩ - ٢١ ٩٥ - ٩٦ وغيره

مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم بقدميه الشريقتين كما شاع خبرها منذ أعوام ولهج بكركهما الخاص والعام، أعاد الله علينا من بركتهما آمين . وقد رآهما وتبرك بهما بالدار المذكورة جماعة من أعيان العلماء منهم الشيخ الحافظ أبو زيد سيدي عبد الرحمن بن شيخ الإسلام أبي محمد سيدي عبد القادر الفاسي وذلك سنة سبع وستين وألف هو وجماعة من الأئمة الأعيان وقيست النعل الشريفة بمثال بشهادة عدلين وكان المقيس^(١) له على الأصل الشريف الفقيه العلامة سيدي حمدون المزوار ، ونظم ذلك أبو زيد المذكور في أبيات كتبت على ذلك المثال المحذو عليه . وفي نشر المثاني في ترجمة الشيخ الفقيه البركة أبي عبد الله سيدي محمد ابن الشيخ أبي زيد سيدي عبد الرحمن المذكور^(٢) ما نصه : ووجدت بخط صاحب الترجمة نسب لوالده هذه الأبيات الخمسة كتبها على مثال مُقاس على النعل الذي بيد مولاي أحمد طاهر الشريف الحسيني الصقليّ تزيل درب الدرج من عدوة فاس الأندلس الذي عنده الشهادة بخطوط أئمة أنها نعل المصطفى مولانا محمد صلى الله عليه وسلم ، وهي هذه الأبيات :

(١) قوله المقيس هو بضمّ فكسر اسم فاعل من أقاس ، وكذلك ما جاء بعده في عبارة — نشر المثاني من قوله (مقاس) أي بصيغة اسم المفعول من أقاس أيضا وكلاهما سبق قلم لأن العروف في اللغة قاس واسم الفاعل منه فاقس هو بضم أوله واسم المفعول مقيس بفتح فكسر وأصله مقيوس على ما هو مقرر في التصريف .

(٢) لم نثر على هذا النقل في ترجمة الشيخ محمد بن عبد الرحمن الفاسي المتوفى سنة ١١٣٤ في نسخة نشر المثاني المطبوعة على الحجر بفاس سنة ١٣١٠ ولا في ترجمة والده الشيخ عبد الرحمن بن عبد القادر الفاسي المتوفى سنة ١٠٩٦ ، فلعله سقط من هذه النسخة .

نعال بها إذ مُست الأرض شُرِّفت بها الأرض عن أفق السموات في الفضل
فما مثلها ذخر وهذا مثلها طباق الذي للمصطفى كان في الرجل
وعند الصقلّيين من شرفائنا بفاس وجدتها فقيست بذا المثل
وفي السبع والستين والألف صنعه محكم إتقان بشاهدي العدل^(١)
وشاهده العمراني وهو محمد وأحمد المزوارقاسه بالأصل
وفيه أيضاً مانصه : ومن خط بعض أشياخنا رحمه الله رأيت نعل
المصطفى صلى الله عليه وسلم التي بدار الشرفاء الطاهريين الحسينيين الصقلّيين
القاطنين بعدوة فاس الأندلس فتبركت بها على أعلى البدر والحمد لله
وتوسلت بها إلى الله في حوائج فما رأيت أسرع إلى الإجابة منها في بعضها
وأنا أرجو الله في الباقي أوائل سنة أربع وأربعين ومائة وألف وممن
عابها وتبرك بها من المتأخرين شيخ الجماعة أبو عبد الله سيدي محمد
التاودي ابن سُودة المري ، وفي ذلك يقول :

دارٌ بمصمودة المكارم والوفا فيها رأت عيناى نعل المصطفى^(٢)
ولثمتها^(٣) حتى شبعت وقلت يا نفسى انعمى أكفالكِ؟ قالت لى كفى
قال فى الإشراف : ولعله تمثل بهما مع تغيير فى الشطر الأول إذ هما
من جملة أبيات للشيخ الإمام المحدث ابن جابر الوادى آشى نظمها بدار

(١) كذا ولعل الصواب (بشاهده العدل) وقد نقلنا الأبيات كما وردت ولا يخفى
ما فيها من الضرورات فى الوزن .
(٢) لعله (دار بمصمود) بحذف التاء لضرورة الوزن .
(٣) فى الأصل (ولثمته) والنعل كما لا يخفى مؤنثة .

الحديث الأشرفية في دمشق المحروسة ، وقد رأى فيها نعل النبي صلى الله عليه وسلم فقبلها وقال :

دارُ الحديث الأشرفية لى شفا فيها رأت عيناي نعل المصطفى
ولمتهما حتى قنعت وقلت يا نفسى انعمى أكفالك قالت لى كنى
لله أوقات وصلت بها المنى من بعد طيبة ما أجلّ وأشرفا
لك يا دمشق على البلاد فضيلة أيامك الأعياد^(١) ألزمها الصفا
ومن نسبها لابن جابر المذكور المقرئ فى أزهار الرياض ، وزاد
فى آخرها بيتاً وهو :

ولكم بجيرون جررت ولم أخف ذيلاً وبرحُ هواي فيها ما اختفى
وقد قال الشيخ التاودى فى حاشيته على البخارىّ فى باب الشرب من
قدح النبيّ صلى الله عليه وسلم من كتاب الأشربة مانصه : وقد منّ الله
علىّ مع حقارتى وضعف تعاقى بالسنة والحديث بأئى رأيت فرداً من
نعل النبيّ صلى الله عليه وسلم ومسحت به وجهى وعينى وذلك فى
العشرة الأخيرة من المائة الثانية عشرة ، وهذه النعل بدار الأشراف
الطاهريّين بعدوة الأندلس قرب مصمودة هناك معروف جدّم بصاحب
النعال ، وكان السلطان مولاي إسماعيل جبر على أخذها فأعطوه واحدة
وكتموا الأخرى فلهذا لا يطلعون عليها أحداً ، وهى عندم فى ربيعة فى
صندوق فى مكان معظم محترم ، ورأيت حوله خطّ واحد من العلماء ممن

(١) تقدم لنا نقل هذه الأبيات عن فتح المتعال للمقرئ وبها فى هذا البيت
(لازمها) مكان ألزمها وهو أوضح معنى

أدركته لا غير وكتبت حوله فلله الحمد والمنة . وقد ذكر في نشر
المثاني قضية جبر السلطان المذكور على أخذها حيث قال فيه مانصه : وفي
عام أربعة عشر ومائة وألف شدد في المغرب على أهل فاس السلطان
المنصور بالله مولانا إسماعيل ابن الشريف الحسني فطلب أهل فاس من
الشرفاء الطاهريين أن يعطوهم النعل النبوي يستشفعون بها للسلطان
فحملها بعض الشرفاء المذكورين وساروا إلى السلطان فأحضروها بين
يديه ودفعوها له بمكناسة ، فعفا عن أهل فاس في تلك القضية ، وأخذ
السلطان النعل وأدخلها لداره بقصد التبرك وبني قبة بداره معلومة
إلى الآن تسمى قبة النعال ووضع فيها النعل في كوم^(١) . وبقيت النعل
عند السلطان مدة حياته ولا أدري ما وقع بها بعد وفاته . اهـ . ومن
خط بعضهم ما نصه : الحمد لله ومما وجدته مطوقاً بخدّي بيت ساداتنا
الشرفاء الطاهريين الكائنة بالعدوة المجاورة لمصودة الموضوع فيها
نعل النبي صلى الله عليه وسلم :

يا بني الزهراء يا من في الوري لهم الجاه الأعزّ الأشرف
دمتم في نعم لا تنقضي وسرور عنكم لا يصرف

وها هنا تنبيهات : (الأول) بحث صاحب النشر المذكور في كون

النعل المذكورة نعل المصطفى صلى الله عليه وسلم بأن الذي يغلب على
الظن أن نعاله عليه السلام قد أهلكها الدهر وطول العهد ، وبأن
المقرى في فتح المتعال ذكر في النعال روايات وأمثلة مما عند السخاوي

(١) لعله كوم من الطيب كمسحوق الصندل ونحوه .

والذين العراقي وغيرهما ولم يرج على مثال هذه النمل التي بيد الشرفاء المذكورين مع أنه معاصر لها بالزمان والمكان وليست مما يخفى عليه ومنتهى الأمثلة التي ذكر سبعة ومثال ما عند الشرفاء المذكورين أصغر منها كلها . ونحوه قول بعض المتأخرين من الشرفاء القادرين أيضاً في تأليف له في مناقب مولاي عبد الله الشريف الوزاني لم يصح استمرار طول مكث نعليه صلى الله عليه وسلم إلى الآن بعد المائتين وألف لأن الدنيا جميع ما فيها يفنى إلا أشياء استثنوها من ذلك ، وقد سألت عن ذلك أهل حرفة الدباغة فقالوا لي : إن كانتا من الجلد النقي غير المدبوغ فإنه يسوس ، وإن كانتا من الجلد السبتي المدبوغ الذي ليس فيه شعر فإنه يكرف وييبس ويتمزق ، وإن كانتا من الجلد الافرنجي العنان فإنه يكرف ويتمزق أيضاً ولا أثر لبقاء وجودهما إلى الآن ومن ادعى شيئاً من ذلك فلا يصدق العرف في دعواه .

قلت : وفي هذا الذي ذكره نظر .

أمّا أولاً فقد تقدم أنه شهد لهم بأنها نعل المصطفى صلى الله عليه وسلم أئمة علماء ، ويبعد كل البعد أن يشهدوا على غير يقين أو ظن قريب من اليقين .

وأمّا ثانياً فإن ما استدلاً به على فنائهما لا ينهض ، فإن الله تعالى حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء ، ولا يبعد أن ينسحب ذلك أيضاً على بعض ما حل بأجسادهم الكريمة من النعال وشبهها معجزة لهم . وقد وقع لمولانا إدريس الأكبر دفين زرهون أنه ظهر جسده الشريف

بكفنه عام ثمانية عشر وسبعمئة ولم تعد الأرض على شيء من الجسد ولا من الكفن المصاحب له ، وكان بين وفاته وظهور جسده على الحالة المذكورة خمسمائة سنة وأحد وأربعون سنة وثمانية أشهر .

وأما ثالثاً فإن الجلد إذا كان محفوظاً مصوناً من الماء والشمس ونحوهما لا يسرع إليه البلى بالكلية ولا يبعد بقاءه هذه المدة وأزيد منها ، وقد رأينا من الكتب المكتوبة ماله نحو من سبعمئة سنة مع كون كتابته في أوراق من الكاغد ويحل بأيدي كثير من الناس وتطراً عليه أنواع من التغيرات كثيرة ، فكيف يجلد البقر أو الإبل الغليظ المصون عن الأيدي والتغيرات . وعدم ذكر المقرئ وغيره لهذه النعل لا ينفى عنها إذ لم يستوعبوا ذكر النعال التي مشى بها عليه الصلاة والسلام في عمره ، وإنما ذكروا منها ما حصلت لهم به رواية أو نقل لهم فيه أمر وما بقي أكثر مما ذكروا بكثير ، وقد عد جماعة من الأئمة وهم علماء صلحاء رؤيتهم لهذه النعل التي بيد هؤلاء الشرفاء من أعظم نعم الله تعالى عليهم وتبركوا بها وشاهدوا ببركتها ووجدوها ، وأى دليل أقوى من هذا فلا يعدل عنه إلى التجويزات العقلية التي لا مستند لها إلا الوقوف مع العادة إن سلمت .

(الثاني) ما زال الناس يتبركون بمثل النعل والقلنسوة والعكازة والسبحة ونحوها مما ترجى بركته ، فأحرى بمرات عديدة ما كان من سيد الأولين والآخرين صلى الله عليه وسلم ، وما زالت حوائج وآثاره عليه السلام بيد الصحابة فمن بعدهم على وجه الحفظ والأمانة والتبرك بها لا على سبيل الميراث ، وذلك معلوم عند من طالع السير والتواريخ .

(الثالث) ذكروا لمثال النمل الشريفة خواصّ عديدة ذكر بعضها في التقاط الدرر تبعاً للمقرى في فتح المتعال ، ونصه : ولصورة هذه النمل الكريمة خواصّ وبركات ، فمنها أن من وضعها على محل وجع يعنى بنية صادقة شفاه الله من حينه ، وإن أمسكها متبركا بها كانت له أماناً من بنى البغاة ، وحرزاً من الشيطان ، ومن عين كل حاسد ، وإن أمسكتها صاحبة الطلق يمينها وقد اشتد عليها الطلق تيسر أمرها في الحين ، ومن لازم حملها كان له القبول التام ولا بد أن يزور النبي صلى الله عليه وسلم أو يراه مناماً ، ومن سافر به في برّ أو بحر فعرضت له آفة خوف أو هلاك نجاه الله وآمنه ، ذكر هذه الأشياء الحافظ المقرى في فتح المتعال منقولة عن الأئمة بسندها وذكر قضايا وقعت من ذلك له ولغيره فالنظره .

(الرابع) كثير من الناس اليوم يتطير من رؤية هذه النمل التي بيد هؤلاء الشرفاء يزعمون أن من رآها مات بعد أيام يسيرة ، ويدكرون لذلك قضايا اتفاقية ، ولا صحة لهذا وإنما هو من تخیلات الأوهام التي لا معول عليها ، وقد عاش أبو زيد الفاسي بعد رؤيتها قريباً من ثلاثين سنة ، والشيخ التاودي أزيد من عشرة أعوام ، نعم هذا أمر جعله الله في نفوس العامة ليصون به هذه النمل الكريمة من الابتذال والوقوع في يد من لا يرضى حاله ، والله تعالى فيما يريد حكم وأسرار لا يعلمها إلا هو سبحانه والله أعلم « انتهى بنصه ، ولم نغير فيه إلا بعض أفعال ونعوت وردت مذكّرة في بعض العبارات لعدم النمل من المذكرات وهي مؤنثة ، فجعلناها بانثأنيث .

نعل غير صحيحة : وهى نعل أهداها بعضهم للخليفة المهدي العباسي فظهر له أنها غير صحيحة غير أنه قبلها وأجاز مهديها سياسة منه ، ذكر ذلك ابن شاكر في ترجمته في فوات الوفيات ج ٢ ص ٢٢٥ ونص عبارته: وجلس المهدي جلوساً عاماً فدخل عليه رجل وبيده منديل فيه نعل فقال يا أمير المؤمنين هذه نعل رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أهديتها لك فأخذها منه وقبلها ووضعها على عينيه وأعطاه عشرة آلاف درهم فلما خرج قال جلسائه : ما ترون أنى أعلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يرها فضلاً عن أن يكون لبسها ، ولو كذبناه لقال للناس : أتيت أمير المؤمنين بنعل رسول الله صلى الله عليه وسلم فردها على ، وكان من يصدقه أكثر ممن يكذبه ، إذ كان من شأن العامة الميل إلى أشكالها والنصرة للضعيف على القوى وإن كان ظالماً ، فاشترينا لسانه ، وقبلنا هديته ، وصدقناه قوله ، وكان الذى فعلناه أرجح وأنجح » . انتهى^(١) .

(١) هذا الفصل الخاص بالنعل النبوية وجدت أصوله بخط المؤلف المرحوم تيمور باشا

الخاتمة

وجدت بين مخطّات المؤلف أوراق شقّ هي بعض المذكرات والتعليقات التي عول عليها في كتابة تلك الفصول قبل أن ينشر أكثرها في مجلة الهداية الإسلامية سنة ١٣٤٨ هـ ، وقد عثرنا بين هذه الأوراق بورقة كتب فيها المؤلف هذه الأسطر ، فإذا هي خير خاتمة لتلك الفصول النفيسة في الآثار النبوية :

« ليس في هذه الآثار ولا فيما أوردناه عنها من النصوص ما يبعث على الاسترابة في نسبتها إلى المقام النبويّ الكريم ، ولا يخفى أن كلّ شيء محتمل للصحة إذا لم يلزم بطعن أو يحفّ بشبهة واستفاضت به الأخبار كان حقيقاً بأن تطمئنّ إليه النفوس وتتلقاه بالقبول ، ولا سيما إذا كان أثراً منسوباً إليه صلى الله عليه وسلم لا تؤمن فيه مغبة الشك والإنكار . ولهذا رأينا ذوى الحيلة من السلف ومن أئمة بهديهم في كل جيل يتخرجون عن المجازفة بالإنكار في مثل هذه الآثار ، ويرون السلامة في قبولها والتسليم بها ما لم يمنع مانع . »

الفهرس

صفحة

٣	كلمة اللجنة
٥	مقدمة المؤلف
٧	القضيب والبردة
٢٢	النبر والسريـر والحاتم والعامة والسيف
٢٧	الآثار النبوية في مصر
٤٩	آثار القدم الشريفة على الأحجار
٧٣	الآثار التي بالقسطنطينية
٨٢	الشعرات الشريفة
٩١	الشعرات الباقية إلى اليوم
١٠٠	العلم النبوى
١٠٧	الركاب النبوى
١٠٩	النعال النبوية
١٣٠	الخاتمة